جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في القرآن الكريم دراسة بلاغية

الدكتور

على عبد الرحيم محمود عبد الهادي

مدرس البلاغة والنقد ـ بكلية اللغة العربية بجرجا ـ
جامعة الأزهر الشريف ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الجزء الرابع عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في القرآن الكريم دراسة بلاغية

على عبد الرحيم محمود عبد الهادي

قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية بجرجا - جامعة الأزهر - مصر

البريد الإلكتروني : AliAbdElHadi.el.8.7@azhar.edu.eg

الملخص

القران الكريم يجمع من الفصاحة والبلاغة ما جعله طلبة للدارسين، وبغية للمتأملين، الذين يرغبون في الوقوف على ما تنطوي عليه كلماته من أسرار، ودلالاته من إعجاز ،وسياقاته من تلاؤم ووفاق، ومراميه من تعانق ووئام ، فهو لا يغنى فيه أول عن ثانٍ ، ولا سابق عن لاحق ، ولا ناسخ عن منسوخٍ، ولا مفصَّل عن مجملٍ ،ولا مُحكم عن متشابهٍ، متكامل في مراميه ،متكامل في معانيه تبدو صوره متقاربة ،ولكنها في غاياتها متباعدة ، وهذا ما لمسته الدراسة من خلال الوقوف على مقامات حديث القرآن عن الملائكة عند التوفي ، هذه المقامات التي بدت في النظرة الأولى أنها متقاربة ، ولكن بالوقوف على مراميها داخل سياقاتها المختلفة وُجد أنَّ لكل منها غاية تخالف الأخرى اقتضاها المعنى، وقصد إليها السياق ومن ثم آثرت الدراسة أن يكون عنوان البحث عن بيان(أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في القرآن الكريم دراسة بلاغية) متخذة من المنهج التحليلي الاستقصائي سبيلًا للوقوف على أسرار المعاني التي اقتضت إيثار ذكر التوفي في كل مقام وكيف قادت هذه المعاني إلى إسناده إلى الملائكة خاصة، وبيان مدى ما يحققه هذا الإيثار من تحقيق للغاية العامة التي يهدف إليها السياق من وراء هذا الغرض الخاص .

الكلمات المفتاحية : أثر السياق ، إسناد التوفي للملائكة ، التوفي ، القرآن الكريم ، دراسة بلاغية .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

١٤٣٤٠

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The impact of the context on the assigned of the angels to the death in the Holy Qur'an, a rhetorical study

Ali Abderahem Mahmoud Abdelhady

Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Arabic Language in Girga - Al-Azhar University – Egypt .

Email: AliAbdElHadi.el.8.7@azhar.edu.eg

Abstract

The Holy Qur'an combines eloquence and Rhetoric devices , which made it a very desired thing for students, and purpose for the meditators, who would like to know the secrets of what it contained in its words, its connotations of miraculousness , its contexts of compatibility and harmony ,and its goals of embracing and amity, it does not dispense neither the first over the second, nor the previous over the subsequent, nor the transcriber over copied, nor in detailed over the outlined, nor precise over the similarly, integrated in its aims, integrated in its meanings, its images seem closer, but in their goals they are far apart. This is what the study touched by standing on the status of the Qur'an's speech about on the assigned of the angels to the death , these status, which at first sight, seem close, but by examining its goals within its different contexts, it was found that each of them has a purpose that contradicts with the other, required by the meaning, and the context was intended to it, and then the study was preferred to be titled to the search with a statement of (The impact of the context on the assigned of the angels to the death in the Holy Qur'an, a rhetorical study) .The study took the analytical and investigative method as a way to find out the secrets of the meanings that required giving preference to mentioning the death in every status, and how these meanings led to this assigned to the angels especially , and statement of how much does this altruism achieve of the general purpose to which the context aims behind this special purpose and what it is intended.

Keywords: The impact of the context, the attribution of al-Tawfi to the angels, al-Toffi, the Noble Qur'an, a rhetorical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أحمده حمدًا يعجز عن وصفه الحامدون، وأشكره شكرًا أهيم به في كل وقت وحين، وأسأله صبرًا أرجو به الوقوف على أسرار كتابه المبين، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة وهداية ونورًا للعالمين سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-معلم الأولين والآخرين.

وبعد

فالقران الكريم كلام الله المنزل على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته ،والمتحدي بأقصر سورة منه - يجمع من الفصاحة والبلاغة ما جعله طلبة للدارسين ،وبغية للمتأملين الذين يرغبون في الوقوف على ما تنطوي عليه كلماته من أسرار ،ودلالاته من إعجاز ،وسياقاته من تلاؤم ووفاق، ومراميه من تعانق ووئام ، لا يغنى فيه أول عن ثانٍ ، ولا سابق عن لاحقٍ ، ولا ناسخ عن منسوخٍ، ولا مفصَّل عن مجملٍ ،ولا مُحكم عن متشابهٍ، متكامل في مراميه ،متكامل في معانيه تبدو صوره متقاربة ،ولكنها في غاياتها متباعدة ، وهذا ما لمسته من خلال وقوفي على مقامات حديث القرآن عن الملائكة عند التوفي هذه المقامات التي بدت في النظرة الأولى أنها متقاربة ، ولكن بالوقوف على مراميها داخل سياقاتها المختلفة وجدت أن لكل منها غاية تخالف الأخرى اقتضاها المعنى، وقصد إليها السياق ومن ثم آثرت أن يكون عنوان بحثى عن بيان(أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في القرآن الكريم دراسة بلاغية) وقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب تتجلى فيما يلى:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أولًا: الوقوف على أسرار المعاني التي اقتضت إيثار ذكر التوفي في كل مقام وكيف قادت هذه المعاني إلى إسناده إلى الملائكة خاصة، وبيان مدى ما يحققه هذا الإيثار من تحقيق للغاية العامة التي يهدف إليها السياق من وراء هذا الغرض الخاص.

ثانيًا: تقارب صور التعبير عن توفى الملائكة في مختلف السياقات رغم تنوع الغرض العام الذي اقتضى كلًا.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الاستقصائي، الذي حاولت من خلاله الوقوف على مرامي الأغراض التي تقصد إليها المعاني من وراء إيثار الحديث عن التوفي، وإسناده إلى الملائكة خاصة، أملًا في الوصول إلى المعاني الدقيقة التي اقتضت ذلك في كل سياق على حدة.

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة: واشتملت على أسباب اختيار الموضوع، والمنهج الذي سرت عليه في الدراسة، وخطة البحث.

التمهيد: ووقفت فيه على مفهوم السياق، وأهميته الدلالية.

المبحث الأول: أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في مقام إنكار الرسالة.

المبحث الثاني: أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في مقام الجهاد.

المبحث الثالث: أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في مقام البعث.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج والوصايا التي توصلت لها الدراسة.

الفهارس الفنية: واشتملت على

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات
- كشّاف بالآيات التي قامت عليها الدراسة

وبعد

فهذا بحثي فإن أك قد اهتديت فيه إلى الصواب فما أسعدني به مظهراً من مظاهر توفيق الله، وفيضاً من كرمه ورضاه، وإن كانت الأخرى فحسبي أن جاء من حيث قصدت الإحسان.

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[١]

١) سورة هود من الآية(٨٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التمهيد

السياق مفهومه وأهميته

السياق في اللغة:

يأتي السياق في اللغة حاملًا دلالات السَّوق، والتتابع، والمصاحبة ففي اللسان: "السَّوق معروف ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً وهو سائقٌ وسَوَّاق شدِّد للمبالغة ...وأَساقَها واسْتاقَها فانْساقت ...واسْتاقَ مالَ الأَضْعَفِ الأَشَدُّ وسَوَّقَها كساقَها ...وسَوَّاق يَسُوق بهن أي حادٍ يَحْدُو الإبلَ فهو يسُوقهن بحُدائه وسَوَّاق الإبل يَقْدُمُها... وقد انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت"(١)

وفى مقاييس اللغة:" السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. يقال ساقه يسوقه سَوقاً. والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ. والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق. "(٢)

السياق في الاصطلاح:

من خلال الدلالات اللغوية لمادة (سوق) تتكشف الملامح الاصطلاحية لسياق الكلام الذى ينتج في حقيقته عن تتابع الكلام، واتصاله، وترابط أركانه، وأسلوبه الذى يجرى فيه (٣)، فهو "المحيط اللغوي الذى تقع فيه

---

١) لسان العرب للعلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري- ١٦٦/١٠(سوق) - ط: دار صادر-بيروت – الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٢) معجم مقاييس اللغة-لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا -تحقيق وضبط /عبد السلام محمد هارون - ١١٧/٣(سوق) - ط-دار الجيل -بيروت-الطبعة الأولى -١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣) ينظر: المعجم الوسيط-تأليف: مجمع اللغة العربية-٤٨٢/١(سوق)-ط: مطابع الدار الهندسية-١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أم جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية" .[١]

والعناصر اللغوية تتجلى في السياق الداخلي الذي يُعنى بالنظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم فهو يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة، ويتسع ليشمل القطعة كلها، والكتاب كله.[٢]

والعناصر غير اللغوية هي عبارة عن مجموع العوامل، والظروف الاجتماعية، وخاصة الثقافية التي تحيط بالمتكلم والسامع مما له دور بالسلوك اللغوي.[٣]

أهمية السياق:

للسياق أهمية كبيرة في تحديد الدلالات، وكشف المعاني، والغايات، فهو علم شريف، وأصل عظيم.

وذلك لأنَّه يرشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، فالناظر إلى قوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[٤]، يجد أنَّ سياقه يدل على أنه الذليل الحقير. [٥]

---

١) دلالة السياق- إعداد: رَدة الله بن رَدة بن ضيف الله الطلحى ١/٤٠- كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى -وزارة التعليم العالي -المملكة العربية السعودية -١٤١٨هـ.

٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة -تأليف: استيفن أولمان- ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ كمال محمد بشر- ص ٥٧- ط: مكتبة الشباب- القاهرة.

٣) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) - تأليف: د/محمود السعران - ص٣١١ - ط: دار الفكر العربي.

٤) سورة الدخان الآية (٤٩)

٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن - للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي -تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ٢/٢٠٠،٢٠١-ط: المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبهذا يكون للسياق دوره العظيم في تحقيق المبتغى، والوصول إلى المرتجى لاسيما إذا ارتبط بالنص القرآني، أو النص النبوي.

يقول الزركشي: "واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد ..... الثاني ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر في مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتنى به الراغب كثيرًا في كتاب (المفردات)، فيذكر قيدًا زائدًا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ؛ لأنه اقتنصه من السياق".(١)

والسياق في مجال تفسير القرآن لا يمكن الحديث فيه بمعزل عن علم المناسبة أو التناسب؛ وهو علم شريف قل اعتناء العلماء به لدقته(٢)؛ وذلك لأنه يجعل المفسر يتجاوز النظر في لحمة المقاطع المتصلة إلى ما أهم وأشمل من ذلك، ألا وهو النظر في سياق السورة كلها، وكيف انتظمت معانى يأخذ بعضها بحجز بعض، وذلك بسبب ما يقوم به من جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء(٣) ؛ ومن ثم كانت "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".(٤)

---

١) ينظر: البرهان في علوم القرآن – ٢/ ١٧٢.

٢) ينظر: الاتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي–تقديم وتعليق د: مصطفى ديب البغا–٩٧٦/٢ –ط: دار ابن كثير –دمشق –بيروت – ودار العلوم الإنسانية – دمشق –حلبوني –الطبعة الثانية –١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

٣) ينظر: الاتقان ٩٧٨/٢.

٤) مفاتيح الغيب –تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي ١١٣/١٠–ط: دار الكتب العلمية –بيروت –الطبعة الأولى–١٤٢١هـ –٢٠٠٠م.

عدد مواضع شواهد الدراسة

الموضع	العدد
المبحث الأول	
أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في مقام إنكار الرسالة	٦
المبحث الثاني	
أثر السياق في إسناد التوفى للملائكة في مقام الجهاد	٣
المبحث الثالث	
أثر السياق في إسناد التوفى للملائكة في مقام البعث	١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في مقام إنكار الرسالة

بتتبع المواضع التي ورد فيها حديث القرآن الكريم عن الملائكة حال التوفي وجدت أنها قد كثرت في مقام إنكار الرسالة وارتبطت في أكثر مواضعها بطلب نزول الملائكة لدعوة المنكرين وذلك فيما يأتي:

في قوله -تعالى-: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ *ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ*}(١).

وفى قوله -تعالى-: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.(٢)

وفى قوله -تعالى-: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.(٣)

---

١) سورة الأنعام الآيات من (٥٩-٦١)

٢) سورة الأنعام الآية (٩٣)

٣) سورة الأنعام الآية (١٥٨)

وفي قوله-تعالى-: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ *} (١)

وفى قوله- تعالى- :{ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }.(٢)

وفى قوله-تعالى-: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا *}.(٣)

---

١) سورة الأعراف الآية (٣٧)

٢) سورة النحل الآيات من(٢٧-٣٣)

٣) سورة الفرقان الآيتان(٢١-٢٢)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تدور معاقد سورة الأنعام على تصوير مظاهر قدرة الله _سبحانه وتعالى-إذ إنَّ "مقصودها: الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد بأنه -سبحانه-الحاوي لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره"(١).

فبعد أن صدَّر المولى – سبحانه وتعالى-سورة الأنعام بالحمد لله الموصوف بشمول القدرة بوصفه بخلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور أعقب ذلك ببيان مظهرًا آخر من مظاهر قدرته -سبحانه وتعالى-التي تتمثل في خلق الإنسان من طين إلى أجلٍ مسمىً قدَّره سبحانه لكل فرد من أفراد خلقه تأكيداً لدلالات قدرته -سبحانه وتعالى-على الإيجاد والإعدام، وهو ما كان ممهدًا لترداد ذكر الموت، وقبض الروح على أيدي ملائكته في مواضع عدة من السورة الكريمة، وبذا تعددت مواضع الإعدام بتعدد وتنوع مواضع الإيجاد في هذه السورة.

يقول البقاعي: "فقوله: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) ...ثم (خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) ثم (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ) ... متكفل بتفضيل نعمة الإيجاد الأول لجميع العالمين من السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما من آدمي وغيره المشار إليه في الفاتحة برب العالمين"(٢)

---

١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور- تأليف: الحافظ المؤرخ المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي-تحقيق: د عبد الحميد أحمد محمد حسنين ٢/ ١١٨ ط: مكتبة المعارف -الرياض – الطبعة الأولى-١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي- تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدى-٢/٥٨٠ ط: دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان – الطبعة الأولى -١٤٠٥هـ -١٩٩٥م.

ثم جاءت السورة الكريمة في مستهل آياتها بعد تأكيد دلائل قدرة الله -تعالى-لتؤكد إعراض المشركين وإنكارهم لآيات الله تعالى الموصوفة بـ(الحق)، واستهزاءهم بها مع وضوحها بما اقترن بها من حجج، ونصب عليها من قرائن.

ومن ثم شرع - سبحانه وتعالى- في تسلية نبيه -صلى الله عليه وسلم- ببيان شدة عنادهم ،وإنكارهم بقوله :{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}[١]، ثم عطف عليه قوله:{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ}[٢]،فالمولى -سبحانه وتعالى- أعاد ذكر القول ليجعل هذا التعنت في إثبات مستقل، وكأنه -سبحانه وتعالى- يشير إلى أن طلبهم نزول الملك عليهم سخريةً، واستهزاءً، وتعنتًا سيكون من الأنباء التي ستأتيهم قريبًا ، ولكن في صورة ملائكة تقبض أرواحهم ،وتبين لهم حقيقة ما كانوا به يستهزئون.

وعبر القرآن الكريم عنهم بحرف التحضيض(لولا) دون (لو) ليظهر مدى إلحاحهم في الطلب إنكارًا وتعنتًا، وبنى الفعل للمفعول (أنزل) ليتلاءم مع إنكارهم لوجود الله -عز وجل-كفرًا، وافتراءً، ولما كانت غايتهم من هذا النزول هي الاستعلاء، والكبر جاء الإنزال مقيدًا بـ (على) وجاء مدخول (على) ضمير الغائب (الهاء) دون المخاطب اتساقًا مع {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ}؛ ليُظهر البغض والكره الذي انطوت عليه نفوسهم، والتي جعلتهم كأنهم لا يريدون أن يروه فضلًا عن إيمانهم به.

---

١) سورة الأنعام الآية (٧)

٢) سورة الأنعام من الآية (٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقُدِّم الجار والمجرور (عليه) على نائب الفاعل (ملك) لأن الإنكار في حقيقته إنما هو منصب على الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم-إذ هو سبب التعنت الذي يلوح منهم مع وجود القرائن، ووضوح الحجج، وجاء نائب الفاعل (ملك) منكَّرًا تأكيدًا لدلالات العموم، وكأنهم إنما يقصدون ملكًا أيَّ ملك، وذلك حتى لا يكون الرسول محمدًا-صلى الله عليه وسلم-.

وأسند -المولى سبحانه وتعالى-الإنزال إلى نفسه في {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا} تلاؤمًا مع دلالات إظهار القدرة التي تهتم معاقد هذه السورة الكريمة بإثباتها، وهو ما ترمز إليه دلالات الامتناع التي تنبعث من (لو) في سياق هذه الآية، ونكَّر(ملكًا) تلاؤما مع مقصدهم، وغايتهم، وجاء الجواب مقترنًا بـ(اللام) مبالغة في تأكيد معاني الهلاك؛ ولهذا عبر -سبحانه وتعالى بـ (القضاء) دون (الانتهاء).

يقول أبوهلال العسكري: "القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قولك قضاه إذا أتمه، وقطع عمله ومنه قوله تعالى: (ثم قضى أجلًا) أي فصل الحكم به"[١].

وعرَّف الأمر بـ (أل) دون الإضافة بقوله:(أمرهم) أو (أمر هلاكهم) دلالة على عظم الأمر المقضي لعظم المرئي وليجعل النفس تذهب في تخيل سرعة هلاكهم كل مذهب، ولهذا بنى الفعل (قضى)للمفعول.

---

١) الفروق اللغوية للإمام اللغوي الأديب أبى هلال العسكري -تحقيق: حسام الدين القدسي -ص: ١٥٦-ط:مكتبةالقدسي-عابدين-١٤١٥هـ-١٩٩٤م،وينظر: مقاييس اللغة٥/٩٩(قضى)، والكليات -معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي- قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع ، ووضع فهارسه: د. عدنان درويش ومحمد المصري - ص: ٧٠٥ - ط:مؤسسة الرسالة -بيروت -الطبعة الثانية -١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

يقول البقاعي: "وبناه للمفعول إشارة على طريق كلام القادرين إلى غاية السرعة لسهولة الأمر، وخفة مؤنته، فإنه لا ينظره أحد منهم إلا صعق"(١).

وحتى يستوقف النفوس عند هذا الأمر جاء العطف بـ(ثم) في قوله {ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} لاستبعاد الفصل بين الأمرين قضاء الأمر ،والإنظار وفيه ترقٍ في تصوير عظم ما سيقع عليهم ،فـ(ثم) جعلت عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر ؛لأن مفاجأة الشدة أشد من الشدة نفسها(٢)،ولعل هذا هو السر وراء نفى (الإنظار) دون (التأخير) ؛لأن مادة (نظر) بأصل دلالتها على تأمل الشيء ومعاينته أدل على شدة الهلاك الذى يصيبهم برؤية الملائكة ،لاسيما وأنها تتلاءم مع الاستفهام التقريري المقرون بنفي الرؤية في { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ}.

يقول ابن فارس:" النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه"(٣).

وفى إشباع القرآن الكريم لهذا السياق الجزئي في هذه الآية القرآنية الكريمة بقرن قوله: {لَقُضِيَ الْأَمْرُ} بقوله: {ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ} مع أن بعضه في الظاهر يغنى عن بعض، كأنه تأكيد لتحقيق رغبتهم التي يستعجلونها بإلحاحهم، وتعنتهم، واستكبارهم، واستهزائهم، وهو ما توعد به السياق بقوله {فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.(٤)

---

١) نظم الدرر ٥٩٢/٢

٢) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف: أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي-٥/٢-ط: دار المعرفة-بيروت -لبنان.

٣) معجم مقاييس اللغة ٤٤٤/٥ (نظر)

٤) سورة الأنعام من الآية(٥)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وامتناع الإنظار مع نزول الملك هو الذى رشح إلى الإتيان بـــ(لو) الامتناعية في {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ }[١]، وجاء التعبير بـــ(الجعل) دون (الإنزال) في { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًــا } مشــاكلة لقوله {لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا} لأنه يتناغى مع دلالات القدرة التــي تســعى الســورة الكريمة لترسيخها في الأذهان؛ ولعل هذا هو سر تكرارها وتأكيدها بـــ (لام الجواب) المكررة في { لَجَعَلْنَاهُ } وفى { وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ } مقرونة بـــ(نا) العظمة، وفيه دلالة على أن الرسالة مــن خصــائص البشــر فــي حقيقتها، توحى بهذا دلالات التضمين التي يحملها التعبير بـــ (الجعــل) "أي كونه محصلًا من آخر كأنه في ضمنه؛ ولذلك عبر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيهًا على أنهما لا يقومان بأنفسهما"[٢]، فـــ "الجعل هنا ليس بمعنى الخلق والإيجاد بل تضمين شيء شيئًا وتصيره قائمًــا بــه قيــام الظــرف بالمظروف أو الصفة بالموصوف"[٣]

وجاء التعبير بقوله (رجلًا) للدلالة على الكمال في الوصف ،وذلك لأن صفات الكمال التي تقصد إليها المعاني من وراء التعبير بـــ(رجلًا) هي التي تحقق اللبس المرتب عليه، ولهذا آثره على(الخلط) لأنه يكون في الأعراض مثل الحق والباطل وما يجرى مجراهما[٤]،وكأنه يؤكد أن معنــى الرجوليــة يكون ظاهرًا وباطنًا ،ولعل هذا ما قصدت إليــه المعــاني مــن وراء دلالات

---

١) سورة الأنعام الآية(٩)

٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السـيد محمود الألوسي البغدادي ت: محمد حسين العرب – ٧ /١١٩– ط: دار الفكر –بيروت –لبنــان –١٤١٤هـــ –١٩٩٤م.

٣) روح المعاني ١٢٢/٧

٤) ينظر: الفروق اللغوية ص:٢٤٩

الموصولية وصلتها في { مَا يَلْبِسُونَ } التي تستحضر مشاهد اللبس والحيرة التي تعلوهم ، وتسيطر عليهم والتي تمنع تحقق غاياتهم التي لم يقصدوا من ورائها إلا الكفر، والعناد، والاستهزاء ؛ولهذا عبر السياق بـ (ما) الموصولة الدالة على عظم هذا اللبس الذى ينتابهم حال حدوثه ، ولعل هذا ما قصد إليه السياق بتعدد الضمير في {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ .... لَجَعَلْنَاهُ}، واهتمام السورة الكريمة بإظهار إلحاح المشركين ،وتعنتهم ،ورغبتهم في إنزال الآيات التي تؤكد صدق الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– كفرًا وعنادًا، والذى يتمثل في قوله تعالى :{ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ }[١]، {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ }[٢]، وفى رغبتهم في إنزال العذاب والذى يشير إليه قوله تعالى:{ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ}[٣] هذا الاهتمام هو الذى جعل المولى –سبحانه وتعالى– يدعو نبيه –صلى الله عليه وسلم– إلى أن يخبرهم بأنه ليس عنده ما يستعجلون به، وأن هذا حكم الله –تعالى– وذلك في قوله تعالى:{ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ}[٤]، ولهذا آثر السياق إظهار هذا المعنى بالإتيان به في إطار جملة الصلة دلالة على أن هذا أمر ظاهر لا يكاد يخفى عليهم ،فهم يعلمون يقينًا أنهم إنما يقولون ذلك تعنتًا، وافتراءً ؛ولهذا احتفل السياق بإعادتها في قوله:{ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ }،

---

١) سورة الأنعام من الآية (٨)
٢) سورة الأنعام من الآية (٣٧)
٣) سورة الأنعام من الآية (٤٧)
٤) سورة الأنعام الآيتان (٥٧-٥٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتي استحضرها بصيغة المضارع الدالة على تجدد هذا الطلب منهم في كل مقام من مقامات دعوتهم ،ولعل هذا ما يكمن وراء الإتيان بفعل الأمر (قـل) والذى يجعل تأكيد هذا المعنى في إثبات مستقل، وحتى يؤكد أن هذا أمر الله، وحكمه ، وقضاؤه الذى لا يعلمه إلا هو آثر التعبير بأسلوب القصر في قوله تعالى :{ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ }.

فتقرير جانبي كمال القدرة، وكمال العلم في سياق هذه السـورة هـو الذى دعا إلى الجمع بينهما في قوله تعالى :{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ }، وجاء بـ(الواو) العاطفة لمجموع كلام علـى مجمـوع كلام ليجعل هذا الأمر في إثبات مستقل، وليلفت الذهن إليه تلاؤمًا مع الإنكار الذى يتردد على ألسنة المشركين ،ولهذا عبر بالضـمير (هـو) لأن أصـل الحدث في هذا السياق منصب على تقرير كمال قدرة الله تعالى، وكمال علمه ،ومن ثم أخبر عنه بالاسم الموصول(الذى) تأكيدًا لـدلالات الكمـال والتـي ينشرها إضافة إلى ما سبق أسلوب القصر الذى طريقه تعريـف الطـرفين ،وعبر بـ(التوفي) عن (النوم) ؛لأن أصل الإنكـار الـذى تقصـد السـورة الكريمة إلى إزالته من نفوس المشركين متجه إلى حدوث البعث بعد المـوت مشيرة إلى أن النوم في الحقيقة هو صورة من صـور التـوفي ، والمـوت ولهذا استحضره بصيغة المضارعة ،وجاء به في إطار جملة الصـلة دلالـة على كمال وضوح هذا الأمر، وكمال ظهوره، فهو مثـل للموتـة الصـغرى ،ومن ثم قابل ذلك باستعارة البعث للإيقاظ في قوله :{ وَيَعْلَـمُ مَـا جَـرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى }،وعبر بـ (الباء) لأنـه بدلالتـه على الإلصاق يتلاءم مع ملابسة هذا التوفى لليل ، لاسيما وأنه يتلاءم مـع معانى التجدد التي تشى بها صيغة المضارعة (يتوفى) ،وقُدِّم قوله تعـالى:

{ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ }على قوله: {وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ}تلاؤمًا مع الإماتة فإنها تسبق (البعث) ،ومع تتابع مقاصد السورة حيث بدأت بتأكيد كمال قدرة الله –تعالى– ،ثم أعقبت ذلك بتأكيد علمه –سبحانه– ؛ ولهذا آثر السياق التعبير بـ(العلم) مع أن النوم المستعار له التوفى يقتضى الإيقاظ الملائم للقدرة ، ولكنه آثر ذكر لازم الإيقاظ تحقيقًا لغايات تأكيد كمال العلم ، ثم ترقى منه إلى البعث المستعار للإيقاظ بقوله :{ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ }،ولعل هذا ما يكمن وراء استحضار المشهد بصيغة المضارعة الدالة على تجدد هذا العلم بتجدد العمل الملابس للنهار ،والمفاد من دلالات الإلصاق التي تشى بها (الباء) في هذا السياق ،وإنما عبر بالماضي {جَرَحْتُمْ } لتأكيد تحقق العلم، يشعر بهذا التعبير عن الكسب بـ(الجرح) بما فيه من قوة ،إلى جانب الإتيان به في إطار جملة الصلة التي توكد بما تحمله من تصوير دلالات الوضوح مع تقييد البعث بـ (في) الدالة على التمكن.

فاستعارة النوم للتوفى ، والبعث للإيقاظ لما كانت غاياته إنما هي تقرير حصول الإحياء بعد الإماتة جاء بجملة التعليل { لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى } مع ما سبقها في إثبات مستقل؛ وذلك لأن الإنكار في حقيقته ليس متعلقًا بالإماتة ، ولهذا بنى الفعل للمفعول مسارعة إلى المقصود ،ونكَّر الأجل دلالة على قلة مدته ،ولهذا وصفه بقوله:{ مُسَمًّى }، يؤيد هذا إتيانه بـ (ثم) في حديثه عن البعث بقوله :{ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ }،وكأنه بدلالات التراخي يستوقف النفوس عند حدث الإنكار ،ومن ثم جاءت دلالات الانتهاء مقدمة في { إِلَيْهِ } حاملة دلالة التخصيص لتؤكد ثبوت هذا الأمر ،وتحققه ثبوتًا ،وتحققًا يلائم ثبوت القدرة وتحققها كما هو مفاد التعبير بـ(الرجوع) الدال على التكرار في{مَرْجِعُكُم}،متعانقًا مع دلالات الاسمية بما تحمله من معانى الثبوت

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المقصودة، وتلاؤمًا مع دلالات هذا السياق الجزئي التي تعنى بإثبات أن من كمال قدرة الله تعالى إحاطة علمه بكل شيء جاء العطف بـ (ثم) في {ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ليستوقف النفوس عند هذا الحدث العظيم ؛ولهذا استحضره بصيغة المضارعة ،وآثرها على (يخبركم) تلاؤمًا مع دلالات التعظيم والعناية التي ينشرها مطل الحدث في{ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }،والتي تؤكد بورودها صلة للموصول على وضوحها وجلائها.

ثم إنَّ عناية السياق ببيان أن من كمال قدرته –سبحانه وتعالى– إحاطة علمه بكل شيء هي التي رشحت إلى وصف الملائكة بأنهم { حَفَظَةً}، وإلى التعبير بالإرسال والذى كأنَّه جاء ردًا على أولئك المنكرين الذين يطلبون نزول الملائكة لدعوتهم، وإنذارهم، وكأن المولى –سبحانه وتعالى– يوبخهم على ذلك ،مبينًا لهم أن صورة إرسال الملائكة كائن حقيقة ولكنه في سياق آخر، ومرتبط بحدث آخر ،ألا وهو حصر الأعمال التي سينبؤون بها يوم القيامة ،ولهذا استحضر مشهد الإرسال بصيغة المضارعة التي تحمل معانى التجدد والاستمرار، وقيدها بـ(على) تأكيدًا لمعاني الإحاطة والشمول ،ومن ثم قدمها على المفعول { حَفَظَةً } والذى عدل فيه عن الجمع بصيغة اسم الفاعل (حافظين) لتأكيد معانى دوام، واستمرار الحفظ للأعمال ، وهذا ما لا يحققه التعبير بصيغة اسم الفاعل (حافظين) لأنها بدلالتها على الحدوث لا تتلاءم مع دلالات تأكيد الدوام التي تقصد إليها المعاني من وراء هذا السياق ،ولعل هذا ما يكمن وراء التعبير بـ (الإرسال) بأصل دلالته على الامتداد والتتابع.

يقول ابن فارس:" الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد"[١].

هذا إلى جانب أن فيه لينًا ويسرًا يلائم عدم شعور الإنسان بهؤلاء الحفظة الذين يلازمونه ليل نهار لتسجيل الأعمال.

ومبالغة في تأكيد أن إنزال الملائكة له مقامه وحاله الذى يقتضيه جاء السياق بـ(حتى) وكأنه يستوقف النفوس عند هذا الحدث الذى تتولى فيه الملائكة نزع الروح من الجسد، وأعقبها بـ (إذا) الشرطية الدالة على التحقق داخلة على الفعل الماضي (جاء)الذى يتلاءم مع شدة النزع والمعالجة فضلًا عن التأكيد ، وعبر بقوله :{ جَاءَ أَحَدَكُمُ }دون (جاءكم) وقدَّمه ليظهر عناية السياق بهذا الحدث الذى تتنزل فيه الملائكة لنزع الروح ،وكأن المولى –سبحانه وتعالى– في مقام تقريعهم ،وإلزامهم بالحجة يبين لهم أن الملائكة الذين تطلبون نزولهم عليكم لتبليغكم رسالة ربكم ستنزل على كل واحد منكم بمفرده لتقبض روحه، فضلًا عن كونها ملازمة له طوال حياته لتسجل عليه أعماله التي اقترفها في حياته ،ولعل تقرير هذا الأمر هو المقصود من وراء التقديم في {جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ }،ومن وراء إبراز الموت في صورة حسية بالاستعارة المكنية التي تظهره في صورة شخص يأتي الإنسان لنزع روحه ،ومن وراء إتيان الجزاء بصيغة الماضي الدالة على تحقق الوقوع في{تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا }،والذى عبر فيه بـ(التوفي) لأنه مع دلالاته على الاستيفاء المحققة للمعاني يلائم التوفي الوارد في قوله– تعالى–: { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ }،وأسند التوفي إلى (الرسل) على سبيل المجاز العقلي لأنه هو الملائم لرد إنكار الذين يطلبون نزول الملائكة لدعوتهم،

---

١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٩٢/٢ (رسل)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكأنه –والله أعلم– هو داعى التعبير بـــ(الإرسال) فـــي قولـــه–تعـــالى– { وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً }، والذى جاء بصيغة المضـــارعة لـــيلائم التجـــدد والحدوث فضلًا عن استحضار المشهد ليكون أمام الأعين تنبيهًا وتذكيرًا.

وتلاؤمًا مع معانى القدرة، والقوة ،والقهر التي ينبض بها هذا السياق جاءت الإضافة في { رُسُلُنَا }إلى ناء المفعولين دون (رسلي) بياء المـــتكلم دلالة على أن كلًا من عند الله سواء أكان بشرًا أم ملكًا ، وفى الجمع إيماءة إلى شدة المعاناة التي تصحب نزع الروح، كما أنه يتلاءم مع عناية السياق بهذا الحدث ،والتي اقتضت الإتيان بـــ(حتى) داخلـــة علـــى (إذا)الشـــرطية بدلالتها على تحقق الوقوع واقترانها بدلالات الماضي المفادة مـــن (جـــاء– توفته) ،ثم جملة الحال {وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ}والتي جاءت مقترنة بالواو لتكـــون في إثبات مستقل مبالغة في إظهار عدم التفـــريط أو التجـــاوز بالزيـــادة أو النقصان كما هو مفاد التعبير بالتوفي والإلحاح عليه في هذا السياق.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "فاعلم أن كل جملة وقعت حالًا ثـــم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعـــل الواقـــع فـــي صـــدرها، فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد، وكل جملة جاءت حالًا ثم اقتضـــت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبرًا، وغير قاصد إلى أن تضـــمها إل الفعـــل الأول في الإثبات"[١]،"ولما كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى مـــا يربط الجملة الثانية بالأولى، فجئ بالواو... وتســـميتنا لهـــا واو الحـــال لا يخرجها من أن تكون مجتلبة لضم جملة إلى جملة"[٢]

١) كتاب دلائل الإعجاز تأليف: الشيخ الإمام أبى بكر عبد القاهر بـــن عبـــد الـــرحمن بـــن محمـــد الجرجاني النحوي–قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر– ص ٢١٣–ط: دار المـــدني بالقاهرة ودار المدني بجدة –الطبعة الثالثة –١٤١٣هـــ /١٩٩٢م.

٢) كتاب دلائل الإعجاز ص ٢١٣

فجملة الحال{وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ}مع اقترانها بـ(واو) الحال التي جعلتها في إثبات مستقل ، وإيثارها الإتيان بالضمير (هم) كأنها تلح على أن للملائكة دورًا أصيلًا في تقرير المعاني التي تدور عليها معاقد هذه السورة الكريمة من تأكيد حقيقة قدرة المولى –سبحانه وتعالى– والتي ينكرها المنكرون تكذيبًا وتعنتًا وافتراءً ،والتي جعلتهم يطلبون نزول الملائكة لدعوتهم، وإنذارهم، مبينة أن للملائكة مواطن ينزلون فيها عليهم لحفظ أعمالهم وتسجيلها ،وقبض أرواحهم واستيفائها ،يشعر بهذا التعبير بصيغة المضارعة {لَا يُفَرِّطُونَ } مقترنة بـ(لا) النافية التي تستحضر هذا المشهد في أذهان منكريه ، يشى بهذا إطلاق الفعل دون تقييد ،وكأنه يطلق للذهن العنان في تخيل الدقة والامتثال الذى يكونون عليه وهم ينفذون أوامر الله – سبحانه وتعالى–.

يقول الألوسي :"(وَهُمْ) أي الرسل (لَا يُفَرِّطُونَ) بالتواني والتأخير ... والجملة حال من (رسلنا) وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما أمروا به"[١] ؛ لـ "أنَّ أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها لفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين ،فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلًا في أنك لا ترى مفعولًا لا لفظًا ولا تقديرًا، ومثال ذلك قول الناس فلان يحل ويعقد ،ويأمر وينهى ،ويضر وينفع ،وكقولهم :هو يعطي ويجزل ويضيف ، المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت :صار إليه الحل والعقد وصار بحيث يكون منه حل وعقد، وأمر ونهى ،وضر ونفع ،وعلى هذا القياس"[٢]

---

١) روح المعاني للألوسي ٢٥٧/٧
٢) دلائل الإعجاز ص ١٥٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إن عناية السياق بإبراز دور الملائكة في معالجة روح المتوفى في ثنايا هذه السورة الكريمة التي تسعى إلى تقرير قدرة الله تعالى على الخلق والإيجاد ،والإهلاك والإعدام ، لاسيما وأن المنكرين اتخذوهم وسيلة من وسائل التكذيب ، والإنكار كأنه هو الذى رشح إلى تكرر ذكرهم في سياق الرد على المشركين وبيان الظلم الواقع منهم بافترائهم، وتكذيبهم، وذلك في قوله تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ }.

فالمشركون أو اليهود على الاختلاف في ذلك[١]،لما قالوا في هذا السياق الجزئي وفيما حكى القرآن الكريم عنهم { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ }[٢]،وكان مقتضى قولهم ذلك أن يكون الإنزال في حقيقته على الملائكة كما ورد في صدر هذه السورة: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ }،ولما كان حكم الله قاضيًا بأن نزول الملائكة يكون مرتبطًا بهلاكهم اقتضى المعنى في مقام التوبيخ والإنكار هذا الإتيان بذكر الملائكة في مقام نزع الروح ثانية ،بل وفى سياق يبين أنه لا يوجد أحد أظلم ممن يفترى على الله كذبًا ولا شك أن أعظم ذلك إنكار الإنزال على البشر.

---

١) ينظر: تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم -١٧٩/٢ -ط: دار الفكر -دون ،وروح المعاني ٣١٧/٧ ، وتفسير التحرير والتنوير-تأليف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور -٣٦٣/٧،٣٦٤- ط: الدار التونسية والدار الجماهيرية -دون.

٢) سورة الأنعام من الآية (٩١)

فالسياق آثر التعبير بالاستفهام المتضمن معنى النفي في قوله –تعالى–:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا }ليهيئ النفوس ،وكأنه يريد منها أن تنطق بالإجابة بأنه لا يوجد أظلم ممن يفترى على الله بالكذب ؛ولهذا نكر (كذبًا) لتحقيق دلالات العموم ،مع التعظيم لهذا الكذب، وفصّل ما عُطف عليه من قوله:{ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } مع أنه داخل في دائرة الكذب المحذر منه ،ولم يكتف بتهيئة النفوس بأسلوب الاستفهام بل ترقى إلى استحضارها بأسلوب الشرط الداخل على الفعل المضارع (ترى) والذى كأنه يطلب من المخاطب مشاهدة هؤلاء الظالمين ،وأفرد الفعل (ترى) ليدل على أن هذه الشدة لا تختلف من راءٍ لآخر ، وحذف مفعول الرؤية؛ لأن غايات المعاني تقصد إلى إهمالهم ،وتحقيرهم ، فالسياق لو عبر بقوله (ولو ترى الظالمين إذ هم في غمرات الموت) لأولاهم عناية واهتمامًا يتعارض مع توبيخهم وتقريعهم ،لاسيما وأن إضمارهم ، وإخفاءهم يتلاءم مع إحاطة غمرات الموت المستعارة للشدائد بهم ؛ولهذا جمعها مبالغة في الدلالة على عظم هولها ، وجاء بها مدخولة لـ(في) ؛لأنها بدلالاتها على الظرفية تحقق مرامي الإحاطة التي تقصد إليها المعاني.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور :"وجمع الغمرات يجوز أن يكون لتعدد الغمرات بعدد الظالمين فتكون صيغة الجمع مستعملة في حقيقتها ،ويجوز أن يكون لقصد المبالغة في تهويل ما يصيبهم بأنه أصناف من الشدائد هي لتعدد أشكالها ، وأحوالها لا يعبر عنها باسم مفرد"[1]،وأقام السياق الظرف (إذ)

١) تفسير التحرير والتنوير ٣٧٧/٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مقام الظالمين ؛لأن المقصود تهويل هذا الوقت[١]،وكأن أهوال الشدائد التي يكونون فيها قد فاضت على وقته ؛ولهذا عبر بـ(اليوم) أي الكامل في الهول والشدة والمعاناة ،وعرف (الظالمون) بـ(أل) للدلالة على كمالهم في هذا الوصف فهم كما ينص السياق لا أحد أظلم منهم ،وإنما لم يعبر السياق بالاسم الموصول :(الذين ظلموا) لأن فيه إشباعًا يتنافى مع ما في هذا السياق من تحقيرٍ ، وتوبيخٍ لهم.

ولما كانت أعظم صور الظلم الواقعة منهم هي الافتراء على الله كذبًا بإنكار إنزال شيئًا على البشر ،وادعائهم أن هذا إنما ينبغي أن يكون من الملائكة جاء التعبير بجملة الحال { وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ }زيادة في حسرتهم ،وتذكيرًا لهم بعظم جرمهم الذى أوجب لهم الشدائد التي تحيط بهم في هذا المقام كما يحيط البحر الخضم بمن فيه، وتصديقًا لوعيد الله في الرد عليهم بقوله :{وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ }؛ولهذا آثر التعبير بالجملة الاسمية { وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ }،وكأنه يريد أن يجعل الملائكة في مواجهتهم في هذا المقام توبيخًا، وتقريعًا، وتهكمًا ،يشعر بهذا تعريفهم بـ(أل) ، وإسناد البسط إليهم مرتين ، وإتيانه بصيغة اسم الفاعل التي كأنها تشير بدلالاتها على دوام واستمرار هذا البسط مقارنة بصيغة الفعل إلى الإلحاح والتعجيل وعدم الإمهال فهي أقدر على بيان وتصوير هول هذا الموقف ،وشدته ،وفظاعته ،وعبر بالبسط المرتبط بمقامات الخير زيادة في التهكم الذى ينشره أسلوب الأمر{ أَخْرِجُوا }.

فاستعارة السياق (الإخراج) لـ(الإنقاذ) جاء ليلائم بارتباطه بالمقامات الحسية ذكر الغمرات المستعارة للشدائد والأهوال التي يكون فيها الظالمون

---

١) ينظر: روح المعاني ٣٢٤/٧

وقتئذٍ فـ(الإخراج)هنا بمثابة ترشيح للاستعارة ،ولهذا قال سبحانه وتعالى فيما يحكى عنهم { أَنْفُسَكُمُ } دون أرواحكم مع أن الراجح –والله أعلم – أن حضور الملائكة وبسطهم لأيديهم ،وأمرهم لهم بإخراج أنفسهم مما هم فيه من شدائد هو حقيقة على الصور المحكية كما استظهر ذلك بن المنير[١]، وذلك لأن هذا أدل على شدة المعاناة التي يكون فيها هؤلاء المنكرون المفترون على الله الكذب ،والتي يوحى بها تعريف (اليوم) دلالة على كماله في الشدة سواءً أكان المقصود به وقت الموت أم ما يشمله وما بعده، وفيه دلالة تتلاءم مع صور الإلحاح، وعدم الإمهال التي يكون عليها الملائكة ،وفيه تحقيق لقوله تعالى {وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ }بحمل معناها على التقصير، وعبر بالفعل المضارع { تُجْزَوْنَ }تلاؤمًا مع غايات استحضار هذا المشهد الغيبي أمام أعين سامعيه تحذيرًا ،وتخويفًا ،وآثره على (تحاسبون) لأن ذكر الحساب قد يغرس فيهم بارقة أمل في نجاة بحيلة أو تدليس كما هو شأنهم ،فأراد السياق أن يقطع سبل الأمل لديهم بالتعبير بالفعل { تُجْزَوْنَ }فهو أقدر على تصوير، وتحقيق دلالات الشدة التي تهدف إليها عبارات السياق؛ ولهذا بناه للمفعول لأن إسناده إلى المولى –سبحانه وتعالى– يحمل دلالات الرحمة واللطف التي ينأى السياق عن أن يكون لهم نصيب فيها جزاءً وفاقًا، وأضاف السياق العذب إلى {الْهُونِ} تحقيقًا لمعاني التحقير والإذلال والإهانة التي يكون فيها الظالمون يومئذ، فالإضافة تفيد أنه متمكن في ذلك ؛لأن الاختصاص الذى تفيده الإضافة أقوى من اختصاص التوصيف[٢]، يشعر بهذا التعبير عن (الهوان)بـ(الهون) الدال على شدة

---

١) ينظر: روح المعاني ٣٢٤/٧

٢) ينظر: روح المعاني ٤٣٣/٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التلبس التي تنبض بها دلالات الإلصاق والملابسة التي تفيدها باء السببية في { بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ } ،وكأنهم لشدة تلبسهم بالهوان والذل صاروا كأنهم ذلا وهوانًا بدلالة المصدرية.

وعبر بالاسم الموصول (ما) ،وآثره على (الذى)لأن فيه إبهامًا وتعمية تتلاءم مع التضليل والتكذيب الذى يقصد إليه المشركون ،ومن نحا نحوهم من اليهود من وراء أعمالهم ،والتي قصدت الملائكة من وراء ذكرها في هذا السياق زيادة التهكم بهم يشعر بهذا إشباع قوله:{ كُنْتُمْ تَقُولُونَ }وإيثاره على (قلتم) أو (تقولون) ؛وذلك لأن أصل هذا العمل وهذا الافتراء العظيم بالتكذيب ، وادعاء نزول الملائكة ،والاشتراط على الله هو الذى أوجب لهم هذا العذب الموصوف بالهون؛ ولهذا قدم الجار والمجرور{عَلَى اللَّهِ} على المفعول به { غَيْرَ الْحَقِّ }،واستحضر هذا الحوار بصيغة المضارعة، وفى تأخير المفعول به إيماءة إلى بعده عن الحق والهداية والرشاد ،وفى إيثاره على الباطل إشارة إلى ما يحمله من دلالات العموم التي تتلاءم مع تعدد الافتراء المفاد من السياق ، فضلا عن تآلفه مع الاشباع الذى يتسم به { بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ }،والذى اقتضى الإعادة في { وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } والذى كأنه يصف مع اقترانه بصيغة المضارعة التي تحمل دلالات الاستمرار التجددي ما كانوا عليه من إصرار رغم كثرة البراهين الدالة على الحقائق التي يشعر بها جمع الآيات، والتي ينكرها هؤلاء عنادًا واستكبارًا ،وهو ما اقتضى تقديمها ،والإتيان بها مدخولة لـ(عن) لتأكيد معانى الإبعاد ، ،ولم يعد السياق الجار والمجرور{ بِمَا } ليشى بأنَّ الافتراء على الله الكذب مع الكبر كأنَّه خارج من رحم واحدة، وهذا أقدر على تصوير التقريع والتوبيخ الذى قصدت إليه المعاني من وراء صيغ المضارعة في {تَقُولُونَ-

تَسْتَكْبِرُونَ}التي تستحضر هذا المشهد المهين ، واقتضت التنبيه عليه بتصديره بجملة الشرط { وَلَوْ تَرَى } والتي حذف جوابها للدلالة على هوله، وفظاعته وكأنه يدعو الذهن ليسبح في الخيال لتصور هول ،وعظم هذا الموقف ،والذى كأنه لا يصل إلى شيء تحيط به الفكرة، ولهذا آثر التعبير بصيغة الجمع { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ } والتي تشير إلى أن عاقبة الظلم على اختلاف أشكاله ،وألوانه ،ومشاربه عاقبة واحدة ،ومآل واحد، إضافة إلى أن التعبير بالجمع يتلاءم مع شدة الإنكار المفاد من قوله تعالى{ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ }بخلاف السياق السابق فقد آثر التعبير بالإفراد في{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا }؛لأن صورة الإنكار أخف حيث طلبوا كما نص القرآن أن ينزل على الرسول البشرى ملك فقالوا فيما حكى القرآن عنهم { لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ }؛ولهذا جاءت الإضافة في {رُسُلُنَا} ،أما في هذا السياق الذى عدل عن الإضافة إلى التعريف ،والتصريح بقوله:{وَالْمَلَائِكَةُ} فقد جاء نزعًا لكل معانى الرحمة التي ينشرها السياق السابق.

ثم انتقل السياق من التصريح بإسناد التوفى إلى الملائكة إلى الإشارة والتلميح تلاؤمًا مع تغير صورة الإنكار والتكذيب وتناغيًا مع انتهاء أشكال اللجاجة المؤذن بانتهاء صور الجدال وذلك في قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}[1]

١) سورة الأنعام الآية (١٥٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالمشركون بعد أن أقروا في نهاية هذه السورة الكريمة بنزول الكتاب على طائفتين هم اليهود والنصارى ،وأنهم كانوا عن دراستهم غافلين لعدم معرفتهم بلغتهم ،ثم ترقوا بقولهم فيما يحكى القرآن عنهم {أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ}[١] ،جاء الإخبار بأنه قد جاءتهم بينة من ربهم، وهدىً ،ورحمة والتي كأنها تلح بترادفها على عظم المنة ،والعطية التي أنعم الله بها عليهم ، ومن ثم جاء التعبير بلفظ الربوبية ،وأضيف إلى الضمير العائد عليهم تحقيقًا للتسجيل عليهم بقوله –سبحانه– :{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا}، وخص التكذيب بالآيات لأن السياق وارد في إطار ذكر الآيات ،ودعوى الإيمان بها في قوله:{ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ... وَهَذَا كِتَابٌ ... إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ... لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ}،وأضاف الآيات إلى لفظ الجلالة (اللَّهِ) للمبالغة في تعظيم هذه الآيات التي يكذبون بها يشعر بهذا تعريف (الكتاب) والإتيان بذكر هذه الآيات في إطار جملة الصلة.

وعبر بصيغة التكذيب { كَذَّبَ }،وعطف عليها الفعل { صَدَفَ }،وآثره على (أعرض) ليجمع بأصل دلالته بين الإعراض الحسى والمعنوي إذ هو يدل على الميل والإعراض[٢]،وقيده بـ(عن)تصويرًا لحال الإبعاد في الإعراض والتمادي فيه ،يشى بهذا تكرار التعبير بالفعل {يَصْدِفُونَ}،والذى كأنه يستحضر هذا الصد وهذا الإعراض، ويدل على تجدده منهم تجددًا أوجب لهم الوعيد القريب الذى تدعو إليه السين في{سَنَجْزِي}،والذى أسنده المولى –سبحانه وتعالى– إلى نفسه بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب ليلفت

---

١) سورة الأنعام من الآية(١٥٧)

٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣٣٨/٣(صدف)

الذهن إلى عظمه ،وهوله ومن ثم عبر عنه بالمصدر {سُوءَ} ،وأضافه إلى{الْعَذَابِ} ؛ليدل على تلبسه بهم ،وكأن العذاب نفسه أصبح سوءًا وعدل عن التعبير بالاسم الموصول {مَنْ } الذى جاء في قوله تعالى:{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ } ،والذى يحمل معانى الإهمال والتقليل من شأن من هذا حالهم إلى التعبير بـ {الَّذِينَ}الموضوع للعاقل ليشير إلى أن هذا الصدف وهذا الإعراض إنما كان بعد علم وإدراك لحقائق الآيات ومعرفة بها ،ولهذا جاء الاستفهام في{ هَلْ يَنْظُرُونَ }حاملًا معانى الإنكار عليهم، والتعجب منهم ليسجل عليهم ما هم فيه وهو ما لا يحققه النفي الصريح بـ(ما)،ومراعاة لحالهم المنكرة المتعنتة قصد التسجيل عليهم بأسلوب القصر تبكيتًا وتقريعًا لهم ،وتسلية للحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– يشعر بهذا إعراض السياق عن خطابهم بهذا إهمالًا وعزوفًا عنهم ،وتوجيهه إلى الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم– ،وجاء التعبير بالفعل {يَنْظُرُونَ} دون {ينتظرون} ليتناغى مع دلالات قرب الجزاء المفاد من السين في{سَنَجْزِي}، وقطعًا بدلالته على العموم[١] لكل دلائل الأمل التي قد تتسلل إلى نفوسهم بعد وضوح القرائن والدلائل التي تقطع بعدم إيمانهم.

يقول البقاعي: "ولما كان أسوأ السوء حقوق العذاب، وكان حقوقه بعدم قبول التوبة، فسره بقوله مهونًا له، ومسهلًا بتجريد الفعل {هَلْ يَنْظُرُونَ}"[٢].

فالفعل {يَنْظُرُونَ} كأنه يرسم مقارنة بالفعل (يطلبون) مشهدهم وهم يتطلعون لرؤية ما يرغبون فيه إمعانًا في الإنكار عليهم، والتعجب منهم

---

١) ينظر: الفروق اللغوية لأبى هلال ص: ٥٨

٢) نظم الدرر –٢/٧٤٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إنكارًا ،وتعجبًا أوجب استحضار مطالبهم بصيغة المضارعة في{أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} والتي تتلاءم مع تسجيل إلحاحهم ، وتعنتهم رغم وضوح الحجج ، والقرائن والتي كأنها تضع أيدينا على أصل الحدث الذى يمرقون به عن الهداية والطاعة ؛ولهذا جاء تعريف { الْمَلَائِكَةُ } ليظهر عظم مطالبهم التي تخالف ناموس الحياة ،سواء أكان المقصود بهذا الإتيان التوفي أم العذاب على الاختلاف في ذلك[١] ، يشى بهذا تكرار الفعل (يأتي) ، وإيثار العطف بـ(أو)والذى كأنه جاء ليتلاءم مع الترقي في الإلحاح ،والتعنت الذى يصوره طلبهم إتيان المولى سبحانه وتعالى في { أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ } ،وفى إيثار السياق للتعبير بـ(الإتيان)، وتكراره إشارة منه –سبحانه وتعالى– إلى أن هذا أمر سهل ميسور لا يعجزه –جل في علاه– تسليةً للحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم–يشعر بهذا الإيناس الذى تنبض به لفظة الربوبية التي ترتبط بمقامات الإنعام والإحسان ،والرحمة والامتنان مع دلالتها على المالكية الكلية، مضافة إلى ضمير الخطاب العائد على الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– تشريفًا له مع تكرارها في قوله:{أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ}، وقد كررت الآية الكريمة فعل (الإتيان ،ولم تكرر (أنْ) المصدرية في مقام التأكيد هذا إشارة إلى أن هذه المطالب مصدرها ومنبعها نفس واحدة أنست بالكفر ،ورضيت به، وتعانقت معه ،ونمت فيه ،نفس لا يصرفها صارف ،ولا تدركها هداية يوحى بهذا عدول السياق عن توجيه الخطاب إليهم بقول:(هل تنظرون إلا أن تأتيكم الملائكة) مع الاستغناء عن تكرار الضمير العائد عليهم في {تَأْتِيَهُمُ} رغم تكرار (الإتيان) .

---

١) ينظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل تأليف: أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي– ٤٤٣/٢ –ط: دار الفكر –بيروت –لبنان –١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

وجاء ذكر {الملائكة} أولًا لأن نزولهم كان هو أول مطالبهم ،ثم ترقى بذكر إتيان المولى–سبحانه وتعالى–مع أن الترقي كان يقتضى ذكر بعض الآيات أولًا ،ولكنه أُخَّر بسبب ما تعلق به من قوله– تعالى– { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا }،وعبر السياق بالبعضية للتفخيم والتهويل من هذه الآيات التي لا ينفع وقتها الإيمان(١)، يوحى بهذا الإشباع المفاد من الإضافة في{ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } ،ومن التكرار، ومن تقديم الظرف { يَوْمَ } على متعلقه {لَا يَنْفَعُ}؛ومن قطعه عن الإضافة تناغيًا مع قطع المنفعة المنصوص عليها ،وذلك لأن غايات المعاني هي تقرير عظم هذه المطالب التي تودى بهم ،وتكون سبب هلاكهم ؛ولهذا نفى السياق النفع خاصة لأنه يكون عن قصد وعن غير قصد(٢)،وكأن السياق بهذا يشير إلى أن حصول النفع لهم حينئذٍ لن يكون ،ومن ثم نكر { نَفْسًا } وقدمها تأكيدًا لدلالات التعميم ؛لأن نفى النفع متعلق ،ومرتبط بها ،ومن ثم أعاد الضمير عليها مع الفاعل ،وجاء ببنيتها هذه التي تحمل إبهامًا تشويقًا، وتهيئة لما يأتي بعدها من إيمان لا يجدى، صوَّره السياق بإشباع قوله:{ لَمْ تَكُنْ آمنت مِنْ قَبْلُ } وكأنه يصور الإلحاح ،والإصرار ،والتعنت ،والعناد ،والمكابرة التي كانت عليها هذه النفوس بطلب تنزل الملائكة أو إتيان المولى –سبحانه وتعالى– أو إتيان آياته ، والتي عبر عنها السياق من قبل بقوله على لسان الملائكة:{ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ }يؤيد هذا أن السياق لم يعد : { لَمْ تَكُنْ}مع النفس التي لم تكسب خيرًا مع تلبسها بالإيمان لكونها أقل إثمًا وجرمًا ، مع كونها قد جاءت للمبالغة في

---

١) ينظر روح المعاني للألوسي ٩٦/٨

٢) ينظر: الفروق اللغوية ص: ١٥٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تأكيد عظم هذه الآيات التي يطلب هؤلاء المشركون نزولها ،وحدوثها، والتي اقتضت العطف بـ(أو) التي جيء بها لتأكيد نفى النفع ،مع تقديم ذكر (الإيمان) على المفعول به (خيرًا)،والذى جيء به مدخولًا لـ(في)الظرفية الدالة على تمكن هذه النفس، وشدة تلبسها بهذا الإيمان الذى لا يجدى لها نفعًا لعدم تلبسه بالخيرية التي جاءت نكرة لتأكيد العموم.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:"... وظاهر الآية يقتضي أن المراد نفوس لم تكسب في إيمانها شيئًا من الخير أي اقتصرت على الإيمان، وفرطت في جميع أعمال الخير"(١)

وتهوينًا، وتحقيرًا من شأن من كان هذا حالهم ،وتسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم– نأى المولى –سبحانه وتعالى– عن خطابهم ،وأمرهم بالانتظار ،وجعل نبيه –صلى الله عليه وسلم–هو من يقول ذلك فجاء بقوله : { قُلِ } تنويهًا بعظم التهديد الذى سيخاطبهم به–صلى الله عليه وسلم– ، ولهذا جاء التعبير بالفعل المزيد{ انْتَظِرُوا } مقرونًا بإخبارهم بانتظار المسلمين معهم ،وجاء التأكيد بـ(إنّ) ،واسمية الجملة مراعاة لحالة اليقين، والثبات التي عليها الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم–وأصحابه في دعوتهم ، والتي جاءت لتشير وتنبه إلى انتهاء الحوار والجدال مع هؤلاء الذين لم يزدهم الدعاء إلا تعنتًا، واستكبارًا.

ثم ينتقل السياق إلى سورة الأعراف ليجلي جانبًا من جوانب التقريع والتوبيخ الذى يكون فيه من ينكرون دعوة الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– عند توفى الملائكة لهم ،والذى يعد كأنه تصريح وتفصيل لحقيقة ما كانوا يدّعون، ويقولون وهو ما أجملته سورة الأنعام بـ {غير

---

١) تفسير التحرير والتنوير ١٨٧/٨

الحق} وذلك في قوله تعالى: -:{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ *}

فقد بدأت سورة الأعراف بالتعظيم ،والتنويه بشأن الكتاب المنزل على الحبيب المصطفى–صلى الله عليه وسلم– لإنذار المشركين ،وتذكير المؤمنين ،متخذة من صدر آياتها وسيلة لتثبيت قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– ،وبث الطمأنينة فيه ،وذلك بنهيه عن جعل صدره محلًا لضيق أو شدة ،وكأن السياق بالإتيان بجملة {فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} في موضع الاعتراض، وفى صدر السورة يريد أن ينبه إلى أن غايات المعاني من هذه السورة إنما هي تسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد التعنت ، والإنكار ،والتكذيب الذى أظهرته سورة الأنعام ، والتي تعد سورة الأعراف بيانًا لها.[1]

فالتسلية التي أظهرها الاعتراض بين الإنزال وعلته والتي تشير إلى أن مهمة النبي– صلى الله عليه وسلم– إنما هي الإنذار والتذكير ليس إلا لم تأت إلا رفعًا للضيق والألم الذى كان يشعر به ــ صلى الله عليه وسلم ــ نتيجة إعراض المشركين، وتكذيبهم ،وإنكارهم؛ ولهذا لم يأمرهم– صلى الله عليه وسلم– باتباعه وإنما قال فيما حكى القرآن عنه { اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ

---

١) ينظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج –للأستاذ الدكتور /وهبة الزحيلي – ١٣٣/٨ – ط: دار الفكر المعاصر – بيروت –لبنان، ودار الفكر – دمشق – سورية – الطبعة الأولى –١٤١١هـ/١٩٩١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مِنْ رَبِّكُمْ}،وإشارة إلى أن الإنكار، والتكذيب ،والعناد ديدن كل الأمم على مر الأزمان جاءت(كم) الخبرية الدالة على التكثير مقترنة بـــ(الواو) لتلفت وتنبه إلى ذلك تحقيقاً لمعاني التسلية التي تقصد إليها الآيات، ومن ثم قُدِّم الإهلاك على مجيء البأس الذى يشير إلى أن حالهم هذا ثابت أزلًا، وتأكيدًا لدلالات شدة العذاب التي تجعل هؤلاء يجأرون معترفين بظلمهم ،وطغيانهم جاء الإخبار عن ذلك في صورة أسلوب القصر، متبوعًا بتحقق السؤال لكل من المرسلين، ومن أرسل إليهم تقريرًا لهم ،وإشهادًا عليهم إشهادًا مصحوبًا بقص أخبارهم، وسرد أحوالهم فضحًا لهم ،وتشهيرًا بهم، وترقيًا في إثبات الحجة عليهم ،وإلزامهم بها كما هو مفاد التقييد بحرف الاستعلاء في {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ }والتذييل بجملة{ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ}.

وكأن عناصر التوكيد التي اشتملت عليها آيتي:{ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ }كأنها تمهد إلى ما أوردته ، واحتفلت به هذه السورة الكريمة من قصص للأنبياء جاءت لتكون بمثابة إيناس للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ،وتسلية له ،وذلك بما أظهرته ،ونصت عليه من صور لتكذيب أقوامهم ،واستكبارهم ،وعنادهم رغم ما يعيشون فيه من نعم وخيرات أغدقها عليهم رب الأرض والسماوات أشار إليها مطلع السورة بقوله :{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ }

فهذه السورة كأنها تشير إلى أنَّ عناصر التكريم لبنى آدم التي اشتملت عليها والتي كانت سببًا في جلب الحقد، والغل، والحسد لهم من الشيطان كان ينبغي أن تكون دواعي إقبال على الله، وامتثال لأوامره، واجتناب لنواهيه ليست إنكارًا وتكذيبًا، وعنادًا واستكبارًا.

فإيثار السياق لقصة إبليس مع سيدنا آدم في مستهل هذه السورة كأنه جاء ليشير إلى أن سبب الكفر والتكذيب والعصيان الرئيس الذى قاد إبليس إلى عدم السجود، وإلى توعده لبنى آدم بالإغواء والإضلال ، والذى أظهرته قصة كل نبي مع قومه مما اشتملت عليه هذه السورة إنما هو الكبر ،والذى اهتمت السورة بذكره كناية وتصريحًا، وذلك في قوله-تعالى-:{ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ[١]... قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا[٢]... وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[٣]... إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ[٤]...قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ[٥]...قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا[٦]...سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ[٧]... إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ[٨]}.

---

١) سورة الأعراف من الآية(١٢)
٢) سورة الأعراف من الآية(١٣)
٣) سورة الأعراف الآية(٣٦)
٤) سورة الأعراف الآية(٤٠)
٥) سورة الأعراف الآية(٧٥)
٦) سورة الأعراف من الآية(٨٨)
٧) سورة الأعراف من الآية(١٤٦)
٨) سورة الأعراف من الآية(٢٠٦)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فتقرير أن التكذيب والعناد والعصيان في حقيقته إنما هو نابع من الكبر، والصلف ،والغرور يعد من أبرز ملامح التسلية التي قصدت إليها السورة الكريمة من وراء سردها لهذه القصص المتتالية للتكذيب، والعناد، والاستكبار مع توافر النعم، والمنن ، والعطايا ، والهبات من رب الأرض والسماوات.

ثم إن الكبر ،والبطر، والصلف لم يكتف بالتكذيب ،والإنكار ، والعصيان وإنما قاد إلى تحريم ما أحل الله من مطعومات ، ومشروبات ،وملبوسات كذبًا ،وبهتانًا ،وافتراءً على الله افتراءً اقتضى ألا يكون أحد أظلم منهم كما هو مفاد الاستفهام الإنكاري بقوله:- {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}، وجاء العطف بـ(الفاء) الدالة على السرعة والتعقيب للتأكيد على أنهم بلغوا الغاية في التكذيب والعناد بحيث لم تصبح مهلة تتاح للحكم عليهم بكونهم ليس أحد أظلم منهم ، وجاء التعبير بالاسم الموصول (مَن) للدلالة على كمال العناية بتمييزهم في هذا الأمر أكمل تمييز ،وذلك بالإشارة بدلالة الصلة إلى أن افتراءهم ،وكذبهم أمر ظاهر معلوم لا ينكره منكر ، أو يشك فيه شاكٌ ما أوجب كونهم أظلم الناس ؛ ولهذا عبر بالافتراء الدال على المبالغة فـ"هو العظيم من الكذب يقال لمن عمل عملا فبالغ فيه إنه ليفري الفرى ،ومعنى افترى افتعل ،واختلق ما لا يصح أن يكون"[١] ؛ولهذا قيده بكونه على الله تعظيمًا له، وقدمه على المفعول به(كذبًا) والذى جاء نكرة للدلالة على تنوعه وكثرته ،وعطف قوله: {أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}بـ (أو) الدالة على التخيير دون (الواو) الموضوعة لمطلق الجمع إشارة إلى أن كل خصلة من هذه الخصال جديرة في عظمتها بأن يكون صاحبها لا أحد أظلم منه، يشعر بهذا ويشى به

١) الكليات ص:١٥٤

الجمع بين الافتراء ،والكذب والذى يغنى أحدهما عن الآخر، والتعبير بصيغة التفعيل في {كَذَّبَ}،والإتيان بها متعدية بـ (الباء) الدالة على قربهم من الآيات، وملابستهم لها، وإدراكهم لحقائقها سواء أكان المقصود بها آيات القرآن أم النعم والعطايا أم المعجزات، وذلك مع إمكان الاستغناء عنها بتعدية التكذيب بنفسه إلى جانب جمع الآيات الملائم لكثرة التكذيب الدال على كونه شأنهم ،وسمتهم ،وديدنهم.

ودلالة على بعدهم عن جادة الصواب ،وطريق الهداية جاء التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد { أُولَئِكَ }،وأسند الفعل في{ يَنَالُهُمْ } إلى (النصيب) ولم يسنده إليهم تحقيرًا لهم ،وتقليلًا من شأنهم ،ففيه إشارة إلى أن ما يحظون به من تكريم ،ونعم ،ورزق أثناء كفرهم ،وعنادهم ،واستكبارهم إنما هو بسبب النصيب المقدر لهم أزلًا في الكتاب، وليس تكريمًا لهم ؛ولهذا جاء التعبير بالمصدر { الْكِتَابِ } مبالغة في تأكيد تحققه أزلًا، تشعر بهذا دلالات الابتداء التي تفيد ها (من) بأصل وضعها، وإيثارها على(في) الدالة على الاستقرار، والظرفية، والتعبير بـ(النصيب) الذى يكون في الخير والشر ، ويكون نابعًا عن قسمة.[١]

وإشارةً وتنبيهًا إلى أن الاستكبار ،والبطر الذى دعاهم إلى التكذيب ،والافتراء آخرته الموت ،والهلاك ،والفناء جاء التعبير بـ(حتى) الغائية في{حَتَّى إِذَا }؛لأنها بما تتسم به من طول مقارنة بـ(الفاء)كأنها تستوقف النفوس عند هذا المشهد المهين الذى يعود فيه الإنسان إلى أصل خلقته التي لا ينبغي له أن يتكبر بها، والتي ألحَّ واهتم بتقريرها سياق هذه الآيات التي تصور الاستكبار ،وتذكر أهواله ،وذلك في قوله تعالى:{ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ

١) ينظر: الفروق اللغوية ص١٣٥،١٣٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ }[١]،وقوله {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }[٢] ،إلى جانب ذكر الهلاك ،والنص عليه بقوله تعالى:{ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ }، فبسبب عناية السياق بجانب الموت، والافناء المذكر بأصل الخلقة التي تنافى التكبر جيء بـ (حتى) الابتدائية الغائية داخلة على(إذا) الشرطية الظرفية في سياق جزئي اتسم بالإشباع يتجلى مع التعبير بـ (حتى) بالتعبير بجملة الحال { يَتَوَفَّوْنَهُمْ } مع إمكان التعبير بـ(حتى إذا توفتهم رسلنا) ،وعبر عن الملائكة بـ (الرسل) لوقوعهم في صحبة الرسل المذكورة في هذه السورة الكريمة ،وفى قوله تعالى:{ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ[٣]- يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي [٤]-لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[٥]} إلى آخر ما ورد في هذه السورة مرتبطا بمادة (الرسل) والذى بلغ أربعة عشر موضعًا.[٦]

هذا إلى جانب أن التوفي في حقيقته إنذار بالفناء ،والهلاك الباعث على التواضع، والخضوع، والاستكانة ،ومن ثم كان التعبير عن الملائكة بـ(الرسل) ألصق بالمعنى، وأوفى بتأدية الغرض المسوق له الكلام ،والمصرح به في قوله تعالى:{ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ

---

١) سورة الأعراف الآية (٢٥)
٢) سورة الأعراف الآية (٣٤)
٣) سورة الأعراف الآية (٦)
٤) سورة الأعراف من الآية (٣٥)
٥) سورة الأعراف من الآية (٤٣)
٦) تنظر: سورة الأعراف الآيات(٣٧،٥٣،٥٩،٦١،٦٧،٩٤،١٠١،١٠٤،١٠٥،١٥٨)

هُمْ قَائِلُونَ }[١] إشارة إلى أن الإماتة ،والإفناء هو في حقيقته رسالة بالطاعة والانقياد ،ومن ثم يكون حاملها المحقق لها حتى ولو بالإسناد المجازي رسول، وأضاف المولى –سبحانه وتعالى–الرسل إليه تشريفًا ،وتعظيمًا ، وتأكيدًا على كون التوفي، والإهلاك حاصل بقدرته التي تستحق العبادة ، وتتنافى مع الإنكار، والتكذيب، والاستكبار، والتعبير بصيغة الجمع (رسل) يتلاءم مع التعدد الأزلي الكائن منذ خلق البشرية إلى قيام الساعة كما هو مفاد دلالات الاستحضار بصيغة المضارعة الدالة على التجدد ،والاستمرار في{ يَتَوَفَّوْنَهُمْ }.

وآثر السياق ذكر جواب الشرط { قَالُوا } ليلفت الذهن إلى أهمية هذا السؤال الذى دار على ألسنة الملائكة، وتلاؤمًا مع الإشباع الذى يتسم به هذا السياق الجزئي، وعبر بصيغة الماضي مبالغة في تأكيد تحقق الوقوع ،وجاء السؤال عن المكان بـ(أَيْنَ) لأن المطلوب حضور هؤلاء الذين اتخذوهم أولياء من دون الله ،وذلك بغاية التسجيل على هؤلاء المدعين بالكذب ،والافتراء مبالغة في اللوم ،والتأنيب ، والتعنيف ؛ولهذا جاء باسم الموصول الموضوع لغير العاقل الدال على تعدد هذه الآلهة، وعجزها عن نفع نفسها فضلًا عن غيرها ،وجاءت صلة الموصول :{ كُنْتُمْ تَدْعُونَ } دون (دعوتم) لأنها فضلًا عما فيها من إشباع يصفهم ،ويستحضر صورتهم وهم يدعون – تحمل معانى الإصرار، والتعمد يشى بذلك الإتيان بـ(من) الابتدائية الدالة على طول تلبسهم بهذه الدعوة، وتمسكهم بها، وآثر السياق الإتيان بالظرف (دُونِ) ليحقق معانى الدونية، ويتلاءم مع التحقير ،والتقليل من شأنهم ،وهو ما يومئ إليه التعبير بالاسم الموصول الموضوع لغير العاقل (ما)،وآثر

---

١) سورة الأعراف الآية (٤)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السياق الدعوة على العبادة مع أنها في الظاهر أدل على عظم الجرم المقتضى للوصف بكونهم لا يوجد من هو أظلم منهم، لأنهم في الحقيقة لم يعبدوهم ،ولكن اتخذوهم كما في زعمهم ،وافترائهم ليقربوهم إلى الله زلفا فضلًا عن أنه يتلاءم مع مقاصد السورة التي تنهى عن إتباع أولياء من دون الله –تعالى– وذلك في قوله –تعالى–:{ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ }[١]،وقوله:–{ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ }[٢]؛ولهذا جاء سؤال الملائكة لهم في هذا المقام خاصة عما يدعون من دون الله، وجاء التعبير بالدعوة دون الادعاء لأن في الادعاء معنى تعمد الكذب الذى يتنافى مع ظن الاهتداء في{ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}، والناتج في حقيقته عن تسويل الشيطان وتزينه ، وهو ما اقتضت المعاني التحذير منه في قوله –تعالى–{ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ }[٣]،مع التصريح بالعداوة في سياقات السورة.[٤]

وفصل السياق جملة{ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا } عما قبلها لشبه كمال الاتصال لأن جملة: {قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } أثارت سؤالًا تقديره فما كان ردهم؟،فجاء الجواب:{ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا } ، وفى إيثار السياق للتعبير بالفعل(ضل) ،وإسناده إلى ما كان يعبد هؤلاء من دون الله إشارة إلى عجز هؤلاء عن إدراك حقيقة ما هم فيه ،ومن ثم قيده بـ(عن) الدالة على البعد

---

١) سورة الأعراف الآية(٣)
٢) سورة الأعراف من الآية(٣٠)
٣) سورة الأعراف من الآية (٢٧)
٤) تنظر: سورة الأعراف الآيات(٢٢،٢٥)

والمجاوزة ،وجعلها تمهيدًا للشهادة على أنفسهم بالكفر الذى يستر الحقائق ،ويغطيها، يشعر بهذا ضياع الشيء وذهابه في غير حقه ،والذى تفيده (الضلالة) بأصل وضعها[١] بما تحمله من معانى الحسرة والندامة التي جعلتهم يجأرون بالاعتراف ،والإقرار على أنفسهم بالكفر والضلال ،وآثر السياق ذكر الشهادة ليرسم لنا صور هؤلاء وهم يعترفون بضلالهم ،وكفرهم ،وغيهم، وبعدهم عن جادة الصواب والهداية بإتباعهم لما كانوا يدعون من دون الله ،ولعل هذا هو سر التقييد بـ(على) التي أسهمت بدورها في أن تجرد من أنفسهم أشخاصًا تشهد عليها بالكفر والضلال، وجاء التأكيد بـ(أنَّ) واسمية الجملة ،وجملة (كانوا) ليصف اللوم ،والتأنيب، والتعنيف الذى يلقيه هؤلاء على أنفسهم باتخاذهم أولياء من دون الله لا يملكون لهم ضرًا ولا نفعًا، وفيه زيادة إقرار بعظم الذنب الذى اقترفوه باتخاذهم أولياء من دون الله .

وجاء التعبير بالكفر دون الظلم كما في قوله – تعالى- : { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ }[٢]؛ لأن الكفر بدلالته اللغوية على الستر والتغطية[٣] يتلاءم مع دلالات عدم الاهتداء التي يفيدها التعبير بـ(الضلالة) في{ ضَلُّوا عَنَّا} والتي صرحت بها نهاية السورة الكريمة في قوله –تعالى-{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ }[٤]

---

١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣٥٦/٣
٢) سورة الأعراف الآية(٥)
٣) ينظر: لسان العرب ١٤٤/٥ (كفر)
٤) سورة الأعراف الآيتان(١٩٧، ١٩٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالمشركون بالشهادة على أنفسهم بالكفر خاصة كأنهم يشيرون إلى أنهم فقدوا آلة الإدراك التي تبين لهم الحقائق نتيجة التدليس، والتلبيس الذي زينه لهم الشيطان.

واكتفى السياق بحكاية شهادتهم على أنفسهم بالكفر دون تصريح كما في قوله تعالى:{ضَلُّوا عَنَّا} تحقيرًا وتقليلًا من شأنهم ،فكفى بالشهادة على النفس تصويرًا للإذلال، والتهوين جزاء استكبارهم ،وعنادهم ،وتكذيبهم الذى دفعهم لهذا ،والذى احتفلت السورة بإظهاره ،وبيانه ،والنص عليه، كما هو الشأن في قوله تعالى:{ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ *الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*}[١]

فالمولى –سبحانه وتعالى كما استهل سورة الأعراف بتعظيم القرآن الكريم والتنويه بشأنه استهل كذلك سورة الحجر بتعظيم القرآن الكريم ، والتنويه بشأنه فقال:{ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ }[٢]،ثم بين أنَّ الكافرين عما قريب ستتبين لهم الحقائق التي تجعلهم يودون ،ويتمنون لو

١) سورة النحل الآيات(٢٧-٣٢)

٢) سورة الحجر الآية (١)

كانوا مسلمين ،ولهذا جاء الأمر الإلهي من المولى –سبحانه وتعالى إلى رسوله بأن يذرهم يأكلوا ،ويتمتعوا ، ويلههم الأمل حاملًا معانى التهديد، والوعيد لهم ،والذى ينبض به قوله تعالى { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }[١]،مبينًا أن إهلاك الكفار كائن بأجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر.

ولما كان هذا الهلاك نتاج كفر، وعناد، وتكذيب ،واستكبار شرعت السورة الكريمة في تصوير العناد ،والاستكبار الذى بلغ درجة الاتهام بالجنون مع وضوح الحقائق التي يفيدها الاعتراف بنزول الذكر في { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ }[٢]،وما أعقبه من طلب لتنزل الملائكة في صورة تفوح منها عناصر التعجيز التي تشعر بها دلالات الامتناع بقولهم{ لَوْ مَا } باقترانها بـ(ما) الدالة على الإلحاح، والإصرار، والتعنت، والتهكم ،والذى أوجب إيثار التعبير بالإتيان خاصة في{تَأْتِينَا} ،والذى يرتبط بمقامات اليسر، والسهولة[٣] ،والتعبير بـ (نا) المفعولين التي تحمل معانى التعاظم، والتفاخر، والاستكبار والتي لم تقصد إلى إتيان الملائكة فحسب بل مقرونًا بمصاحبة الرسول، وملابسته إمعانًا في التعجيز، والتهكم ،ولهذا عدل عن قوله : (لوما تأتينا الملائكة)تأكيدًا لمعاني الإصرار، والإلحاح المقرون بالتهكم ،والاستهزاء ،والعناد والذى اقتضى تعريف الملائكة بـ(أل) ،والإتيان بـ(إنْ) الشرطية الحاملة معانى الشك ، مع الإشباع بقوله:{ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }إلى جانب المخاطبة ، والمواجهة التي تحمل دلالات التبجح في { تَأْتِينَا-كُنْتَ- مِنَ الصَّادِقِينَ }.

---

١) سورة الحجر من الآية (٣)

٢) سورة الحجر الآية (٦)

٣) ينظر: الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما فى القرآن الكريم – للدكتور/ محمود موسى حمدان ص١٤، ١٧ – ط: مكتبة وهبة – الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فملامح التعجيز ،والتهكم ،والاستهزاء التي ينشرها قولهم:{ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }[١] اقتضت أن يأتي الرد عليهم من الله –سبحانه وتعالى– مباشرة في{مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ}[٢]دون أن يخاطب نبيه –صلى الله عله وسلم– بالرد عليهم ،وجاء بأسلوب القصر ليلائم الإنكار ،والجحود، والتكذيب فضلًا عن التعظيم، والتنويه بشأن القدرة الإلهية التي يفيدها التعبير بالفعل المضارع{نُنَزِّلُ}، والتصريح بـ{الملائكة} بوضع المظهر موضع المضمر عناية واهتمامًا بهم إذ أن أصل الحدث متعلق ومرتبط بهم إلى جانب التعبير بقوله :{ بِالْحَقِّ } الذى يشير إلى أن نزول الملائكة حاصل وكائن ومتلبس بالحق سواء أكان قرآنًا أم هلاكًا أم موتًا.

وتحقيرًا لهم عدل السياق عن خطاب المشركين الطالبين نزول الملائكة بقوله:{ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ }،وأشبع الإخبار بذلك مبالغة في التهديد والوعيد ،والذى أراد أن يلفت إليه بالتعبير بـ(إذا) الظرفية ،وإقحامها بين اسم كان وخبرها ، مع التعبير بصيغة الماضي (كانوا) مسبوقة بـ(ما) النافية الملائمة لدلالات المضي تأكيدًا للتحقق، والحصول المدلول عليه بالتلبس بالحق ،ومن ثم آثر التعبير بصيغة المفرد في الخبر {مُنْظَرِينَ} التي يوهم ظاهرها التعارض مع الإشباع المتسم به هذا السياق ،وكأن الظرف في هذا المقام قد جاء عوضًا عن الجملة.

ثم شرعت الآيات في تسلية الرسول –صلى الله عليه وسلم– ببيان أن هذا التكذيب، وهذا الإنكار كان شأن الأولين مع رسلهم مع النعم المغدقة

---

١) سورة الحجر الآية (٧)

٢) سورة الحجر الآية (٨)

عليهم والتي عددتها السورة، وأشارت إلى أنها نابعة عن القدرة الإلهية والمتمثلة في الإحياء والإماتة ، والعلم بالمستقدمين والمستأخرين ،والحشر، وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وخلق الجآن من مارج من نار ، هذا الخلق الذى جعل إبليس يستعلى ،ويستكبر، ويرفض السجود لآدم الذى شرفه المولى-سبحانه وتعالى- بأمر الملائكة التي يطلب هؤلاء المعاندون نزولهم بالدعوة بالسجود له تكريمًا ،وإجلالًا ،ثم إن عناية السياق بذكر أصل خلقة الإنسان ،وتكرارها في هذه السورة في قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ }[١]وقوله{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ }[٢]،وقوله{ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ }[٣] كأنها بتذكيرها بأصل خلقة الإنسان التي كانت سببًا في استكبار إبليس ،وطرده من رحمة الله تشير إلى أن التفاضل لا يكون بأصل الخلقة ولكن بالعمل، ومن ثم كان تكريم الله لآدم بإسجاد الملائكة له ،والتي اتخذها المولى-سبحانه وتعالى- وسيلة لتسلية نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

وتصديقًا لتنزل الملائكة بالحق أمر المولى -سبحانه وتعالى – نبيه – صلى الله عليه وسلم- أن ينبئهم عن ضيف إبراهيم ،وما ترتب على نزولهم من إهلاك لقوم لوط-عليه السلام- ،وما تلاهم من أمم عاندوا ،واستكبروا ،وكذبوا رسلهم ،ومن ثم جاء الأمر من الله لنبيه بعد هذه التسلية ،والتي صرح بها السياق بقوله :{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ }[٤]بأن

---

١) سورة الحجر الآية (٢٦)
٢) سورة الحجر الآية (٢٨)
٣) سورة الحجر الآية (٣٣)
٤) سورة الحجر الآية (٩٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يصفح الصفح الجميل ،وذلك بقوله {وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ }[١]،والتي أكدها مطلع سورة النحل بدلالات تحقق الوقوع التي أفادتها صيغة الماضي {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[٢]، والتي كأنها تهز النفوس بتأكيد دلالات القرب ،ولهذا كنّى عن القيامة بـ(الأمر)، وأضافها إلى لفظ الجلالة (اللَّهِ) مبالغة في التهويل والشدة، ومن ثم عطف عليها جملة النهى {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ }تصويرًا لشدة الغضب التي يكون عليها المولى –سبحانه وتعالى–نتيجة العناد، والاستكبار الذى كان عليه المشركون على مر الأزمان ،وتلاؤمًا مع شدة الوعيد التي يفيدها تكرار (فسوف يعلمون) في قوله { ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }[٣]وقوله { الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }[٤]،والتي كأنها بما تتسم به من شدة، وقوة ،وعنف تناغى شدة الحزن، والأسى التي ملأت قلب الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ،وفاضت على صدره ،والتي تصورها عناصر التوكيد في قوله –تعالى– :{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ }،والتي أراد السياق أن ينزعها بالتوجيهات ،والأوامر التي تسل الحزن من النفوس في قوله –تعالى –: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ *}[٥]

فالشدة ،والقوة، والعنف التي ينبض بها صدر هذه السورة الكريمة بما اشتمل عليه من إشباع يتمثل في جملة النهى {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ }،والجمع بين

---

١) سورة الحجر من الآية (٨٥)
٢) سورة النحل الآية (١)
٣) سورة الحجر الآية (٣)
٤) سورة الحجر الآية (٩٦)
٥) سورة الحجر الآيتان(٩٨،٩٩)

جملتي التنزيه {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى} وما تعلق بهما من جملة الصلة { عَمَّا يُشْرِكُونَ } والتي عدل فيها المولى -سبحانه وتعالى- عن الخطاب إلى الغيبة تحقيرًا ،وتقليلًا من شأن المشركين كل هذه العناصر كأنها تمهد لتقرير النعم والعطايا الإلهية التي منحها الله لبنى الإنسان ، والتي عددتها سورة النحل ،والتي تتلاءم مع الرحمة التي يشى بها تكرار لفظ الربوبية في { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...وَاعْبُدْ رَبَّكَ }.

ولما كان نزول الوحى من أعظم المنن والعطايا التي منَّ الله بها على الإنسانية استهل المولى -سبحانه وتعالى- حديثه عن النعم في هذه السورة بإنزاله الوحى فقال { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ }[1]وعبر بالفعل {ينزل} تشريفًا وتنويهًا بشأن المنزَّل ولهذا استحضره بصيغة المضارعة ،وأسنده إلى نفسه ،وجعله بواسطة الملائكة ؛لأن جعله بواسطة الملائكة فضلًا عن تحقيقه معانى التشريف والتنويه يقطع اللجاجة ،والمجادلة التي تلوكها ألسنة المشركين؛ لأن نزول الملائكة كان غاية المشركين كما صرح بذلك صدر سورة الحجر، وغيرها من السور ،واستعار الروح للوحى تحقيقًا لمعاني الحياة التي يبعثها في النفوس، ولهذا ذيله بقوله :{مِنْ أَمْرِهِ} ليشير بدلالات ابتداء الغاية إلى أنه سبحانه وتعالى هو مصدره قطعًا للافتراء، والاختلاق الذى يتزرع به المشركون ،وتلاؤمًا مع غايات التشريف التي تقصد إليها المعاني في هذا السياق جاء التقييد بـ(على) الدالة على الاستعلاء داخلة على الاسم الموصول (مَنْ) للدلالة على تميزه أكمل تمييز ،وجاء بجملة الصلة { يَشَاءُ } دون {يريد} لتحقيق دلالات عموم القدرة التي تقصد إليها

---

١) سورة النحل الآية (٢)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المعاني لأن المشيئة أعم من الإرادة[١]،ولهذا جاء بقيد { مِنْ عِبَادِهِ }،وعبر بالعباد ،وأضافهم إليه تشريفًا وتنويهًا بهم ، ثم إن تولد ،وتنامى القيود في { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ ...بِالرُّوحِ ...مِنْ أَمْرِهِ... عَلَى مَنْ يَشَاءُ... مِنْ عِبَادِهِ } تشعر بأن ما يعقبه له خطر ،وله شأن ؛ولهذا لم يشأ المولى –سبحانه وتعالى أن يجعل الأمر بالإنذار داخلًا في قيود الجملة بقوله {لينذروا}،وإنما عبر بـ(أن) التعليلية الداخلة على الأمر بالإنذار :{ أَنْذِرُوا } ليستوقف النفوس عند هذا الأمر لما له من خطر، وشأن في السياق؛ لأنه يتعلق بتوحيد الله، وتقديسه ؛ولهذا جاء به بعد التهيئة ،والتشويق بضمير الشأن المسبوق بالتوكيد {أَنَّهُ}، وفى إطار جملة القصر بالنفي والاستثناء الذى يقصر صفة الألوهية على كونها لله لا لغيره، والتي ترد الإنكار والجحود الذى يفيده سياق الآيات في قوله- تعالى-:{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} وقوله:{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }،مضافًا إليه الالتفات من الغيبة إلى التكلم في { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا }، والذى يستحضر مشاهد العظمة ،والقدرة ،ويصور المولى –سبحانه وتعالى-وكأنه هو الذى ينذر، ويحذر يشى بهذا فعل الأمر{ فَاتَّقُونِ } المقترن بالفاء الدالة على السرعة والتعقيب مبالغة في التحذير ،والإنذار، وكأنه بهذا يمهد لما يعقبه من نعم ،ومنن، وعطايا تؤكد دلالات القدرة العامة التي تنطق بالوحدانية ،والتي تصرح بها آيات{ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ[٢]- أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [٣]- وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا

---

١) ينظر: الفروق اللغوية ص:١٠١

٢) سورة النحل من الآية (١)

٣) سورة النحل الآية (١٧)

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [١]}، ولهذا لم يحتفل السياق بتأكيد جملة:{ إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ }[٢]للإشارة بعد وضوح الحقائق إلى أن هذا نابع عن إنكار واستكبار يصوره قوله –تعالى–:{ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ }[٣]، ومن ثم شرعت الآيات في التسجيل عليهم بما أوجب لهم العذاب في الدنيا والآخرة مبينة أن إنكارهم ،واستكبارهم هذا لن يفارقهم حتى وقت وفاتهم مبالغة في تسلية النبي –صلى الله عليه وسلم–،وإزاحة الهم عنه .

وإظهارًا لعظم الظلم الواقع من هؤلاء المستكبرين لأنفسهم آثر السياق الإتيان بالتأكيد الوارد على ألسنة الذين أوتوا العلم سواء أكان المقصود بهم أهل العلم حقيقة أم الأنبياء أم الملائكة على اختلاف المفسرين في توجيه ذلك.[٤] وذلك في قوله–تعالى–: {قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ}[٥].

فهذا التأكيد أحسب أنه لم يراع حال المتكلم ولا حال المخاطب ،وإنما جاء ليصور، ويصف، ويلفت الذهن إلى عظم الخزي الواقع على الكافرين في هذا اليوم ،وكأنه خزى لا يعدله ،ولا يساويه خزى؛ ولهذا عطف عليه { السُّوءَ } مبالغة في التعظيم له ،وكأن كلمة الخزي منفردة لا تنهض بتصوير مضمونها؛ ولهذا جاء (اليوم) معرفًا دلالة على كماله في هذا

---

١) سورة النحل الآيتان (٢٠،٢١)
٢) سورة النحل من الآية (٢٢)
٣) سورة النحل من الآية(٢٢)
٤) ينظر: تفسير أبو السعود ٢٥٩/٣، وروح المعاني ١٨٨/١٤، ونظم الدرر ٢٦١/٤،٢٦٢ ، وتفسير التحرير والتنوير ١٣٧/١٤
٥) سورة النحل من الآية (٢٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المعنى، وعبر بـ(الكفر) لأن فيه معانى التغطية والستر التي يفيدها قولهم{مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ }، ووصفهم بالاسم الموصول { الَّذِينَ }للدلالة على كمالهم في هذا الوصف تمييزًا لهم أكمل تمييز يشى باشتهار خزيهم ووبالهم ،ومن ثم جاءت جملة الصلة بصيغة المضارعة { تَتَوَفَّاهُمُ } لاستحضار هذا المشهد الذى يصور الإنكار، والتكذيب ،والتدليس الذى يكونون فيه في أحلك لحظات الهلاك ،وأسند التوفي إلى الملائكة تأكيدًا لدلالات القدرة الإلهية التي تعنى بها هذه السورة وذلك بجعل الملائكة التي تنزل بالروح والحياة المستعارة للقرآن والوحى في قوله –تعالى-:{ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ }والتي يطلب هؤلاء الظالمون نزولهم لدعوتهم عنادًا، واستكبارًا هي ذاتها التي تنزل للهلاك ،والإماتة ،والإفناء ، وجاء بقيد {ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}إشارة إلى مجاوزتهم الحد في التكذيب ،والإنكار ،والعناد ،وأضافه إليهم دلالة على مداومتهم عليه ،والتي يصورها الإصرار الذى يلوح من دلالات المضي في {فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ } والذى كأنه يلفت الذهن إلى هذا التكذيب ، وهذا الإنكار، وهذا التدليس الذى يلازمهم حتى وقت توفيهم مما أوجب ظلمهم ، ولهذا قرنه بـ (الفاء) الدالة على السرعة والعجلة الملائمة للإلقاء ، والتي تكشف بتعانقها مع الإلقاء عن فقدهم لعناصر التريث ،والتفكر التي تقود للهداية والطاعة التي تجعلهم يقدرون الأمور حق قدرها، وكأن شدة هول الموقف تدعوهم للمسارعة بنفي عمل السوء كذبًا، وبهتانًا، وافتراءً ، دعاهم إلى تأكيد النفي في{مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ}بالجمع بين الفعل(كنا)و(نعمل) مع الاستغراق بـ (من) ،وكأنَّ السياق بهذا الإشباع يشير إلى أن هذا هو أصل الحدث الذى أوجب الخزي والنكال لهم.

وجاء الجواب بـــ(بلى) لأن المواجهة بالتكذيب من أعظم صور الخزي، وحذف السياق متعلق (بلى) إذ أصل التعبير (بلى عملتم) اكتفـــاءً بـــدلالات التعليل في { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }؛لأنها أقوى في الإنكار عليهم ، والتكذيب ،والتوبيخ لهم ،ومن ثم جاءت مؤكدة بـــــ(إنّ)،وبصيغة المبالغـــة (عَلِيمٌ)،وبالباء في (بما)،وبالإتيان بفعل الكينونة (كُنْتُمْ)، والتي تحمل معانى الإصرار على العناد ،والإلحاح في التكذيب ،والافتراء ممـــا أوجـــب علـــيهم الحنق، والغيظ الذى يلوح من الأمر بالدخول المقترن بـــ(الفاء) الدالة علـــى السرعة في{ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّـــرِينَ }، ومن ذكر الأبواب وإضافتها إلى جهنم وكأن جهنم بكل أبوابها ترغـــب فـــي التنكيل بهم لعظم جرمهم، وقبح فعلهم الذى أوجب تأكيد خلودهم واستقرارهم فيها ،والتي يشير إليها مع تقييد جملة {خَالِدِينَ} بـــ(في) ذكر (المثوى) فـــي { فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } ،والذى جاء مؤكدًا بـــــ(الفاء) ،و(الـــلام) مـــع التشويق والتهيئة التي يدل عليها أسلوب الذم {بِئْسَ} بالإيضاح بعد الإبهـــام ليلائم إطالة واستيفاء الحديث عنهم [١]وكأنه –سبحانه وتعالى– يشى بـــأنّ جهنم التي تعتنى الآية الكريمة بتقرير دخولها بالضمائر التي تعـــود عليهـــا كأنها لم تكن إلا بسبب الكبر والعناد الذى لم يقتصر عليهم بل تجاوزهم إلى غيرهم كما هو مفاد التأكيد بـــ (اللام) في{ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ }[٢].

---

١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيـــل – تأليف الإمام أبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي –وضع حواشيه: عبد الغنى محمد على الفاسي–١٥١/١–دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.

٢) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيـــز –للخطيـــب الإسكافي–ص:٢٦٣ –ط: دار الآفاق الجديدة –بيروت–الطبعة الرابعة –١٤٠١هـــ–١٩٨١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتصويرًا لعظم الخزي الذى يكون فيه المتكبرون يوم القيامة استطردت السورة الكريمة بذكر مشاهد النعيم ،والتكريم التي يحظى بها الموحدون ،والمتقون ،ودلالة على أن ذكرهم لم يكن مقصودًا لذاته ،وإنما كان لبث الحسرات في نفوس المكذبين المعاندين، وإبراز مظاهر القدرة الإلهية التي تتمثل في الثواب، والعقاب لم يعد السياق (إذا) الشرطية في مستهل حديثه عن المتقين، وإنما عبر بقوله: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} بالاسم الموصول وصلته تشريفًا ،وتكريمًا لهم ،وعبر بالضمير في جانب المستكبرين الذين لا يؤمنون فقال :{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [١]؛ليشير بدلالات مرجع الضمير إلى أن أصل الأحداث في هذا السياق تهدف إلى تصوير حال المعاندين المكذبين، وأنّ الاستطراد بذكر حال المؤمنين كأنه جاء لإظهار الفوارق إهانةً وإذلالًا، وتوبيخًا وتحقيرًا؛ ولهذا جاء التوفي في جانب المؤمنين في إطار جملة الصلة كما في شأن المستكبرين ،وبصيغة المضارعة التي تستحضر هذا المشهد ،وأسند إلى الملائكة ؛لأن معانى التشريف والتكريم التي ينبض بها مرتبطة بهم ،والتي يصورها قولهم:{ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ}،وجاء بجملة الحال{طَيِّبِينَ}للإشارة إلى أنّ نفعهم يتجاوزهم إلى غيرهم مقارنة بالمستكبرين المعاندين الذين يحيق مكرهم بأنفسهم ،وأن هذا النفع اقتضى إقبال الملائكة عليهم بالسلام ، والتحية ،والإكرام الذى استحضره السياق بصيغة المضارعة{يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ }،والتي تفيض بالرفق ،واللين، والرحمة الملائمة لهدوء النفس ، والراحة ، والسكينة التي يكون فيها المؤمنون حال التوفي مع السلامة المحيطة بهم بدلالات الاستعلاء في:{ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ}،مقرونة بالأمر بدخول الجنة، والتي جاءت معرفة للدلالة على كمالها ،وفضلها، وعلو شأنها.

---

١) سورة النحل الآية (٢٤)

ولما كانت ملامح اللين والرفق والرحمة التي ينبض بها مقام توفى المؤمنين مقارنة بملامح العنف، والقوة، والشدة، وعلو نبرة الانفعال التي ينبض بها مقام توفى الكافرين، والمستكبرين إنما كانت بسبب اختلاف العمل جاء تأكيد جانب العمل، واستحضاره بصيغة المضارعة في قوله: {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} لتضع أمام أعيننا أن التكليف واحد كما هو مفاد {مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ}، وأن العاقبة رغم كونها واحدة في الظاهر بتحقق الوفاة إلا أنها تختلف رقةً وعنفًا، لينًا وشدةً، تكريمًا وإهانةً.

وتأكيدًا لأن ذكر المؤمنين في هذا السياق قد جاء لزيادة الحسرة والخزي عاد السياق إلى تبكيت المستكبرين ،ولومهم، وتعنيفهم ،وذلك بالاستفهام الذى يحمل معانى الإنكار عليهم في{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ}والذى يقصر نظرهم على إتيان الملائكة لا يتعداه إلى غيره من مظاهر قدرة الله- تعالى- التي تتجلى في آياته الظاهرة، والباطنة والتي يصورها السياق بقوله:{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا }[1]،وعددتها آيات هذه السورة الكريمة والتي كان في مقدمتها إنزال الملائكة بالروح والحياة المتمثلة في الوحى القرآني.

والتعبير بأسلوب القصر الذى طريقه النفي والاستثناء كأنه يراعى حالة الغضب، والسخط ،والإنكار التي يكون عليها المولى-سبحانه وتعالى- أثناء حديثه عنهم ،والتي يوحى بها التعبير بصيغة الغائب(ينظرون... تأتيهم... يأتي...وما ظلمهم الله ..ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) تقليلًا ،وتحقيرًا يتلاءم مع معانى الخزي ،والنكال التي يصورها السياق، والتي كانت نتيجة الخفة ،والطيش ،والسفه، والرعونة المعبر عنها بـ{يَنْظُرُونَ}

١) سورة النحل من الآية (١٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

دون {ينتظرون}،والتي كأنها تنافى التدقيق والتفكر الذى تدعو إليه آيات هذه السورة الكريمة التي تعدد مظاهر قدرة الله –تعالى–.

وجاء السياق بـ(أن) المصدرية الداخلة على الفعل المضارع (تأتي) في {أَنْ تَأْتِيَهُمُ}والذى يستحضر هذا المشهد دون التعبير بالمصدر (إتيان) لأن السياق كأنه يريد أن ينبه إلى أن هذا الإتيان هو أصل من أصول الأحداث التي يتعلق بها المشركون، ويداومون الطلب لها في إنكارهم ،وجحودهم ،وعنادهم ؛ولهذا لم يعد (أن) المصدرية مع العطف بقوله :{ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ }،وجاء التعبير بـ(الإتيان) خاصة لأنه بدلالته على اليسر والسهولة يلائم مظاهر القدرة التي تنبض بها سورتي الحجر والنحل والتي ينطق بها قول الله –تعالى–:{مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ }،وهو ما تجلى من خلال هاتين السورتين في نزولهم بالبشارة ،والإهلاك بالعذاب تارة ،والوفاة تارة أخرى إلى جانب نزول الوحى في {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}،فكل هذا ينبض بالقدرة التي تؤكد السهولة ، واليسر المعبر عنها بالإتيان المقرون بالملكية المطلقة التي يفيدها لفظ الربوبية في { أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ }،والذى كرر لتأكيد معانى القدرة ، مع ما يصفه من إلحاح، وعناد ،واستكبار تلبس به المشركون ،وكان سببًا في بعدهم عن طريق الهداية المفاد من اسم الإشارة الموضوع للبعيد في { كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، والذى يؤكده التعبير عن العمل بالفعل، والاسم الموصول {الَّذِينَ} الذى يدل على كمال من سبقوهم في التكذيب، والعناد ،والاستكبار ، وجاء التقييد بـ{من} ليشى بأصل دلالته على ابتداء الغاية بأن هذا ديدن المشركين منذ نشأة الخليقة كما حدث من إبليس مع سيدنا آدم وهو ما صورت مشهدًا منه سورة الحجر تسلية للحبيب المصطفى –صلى الله عليه

وسلم- وإيناسًا له اقتضى الإتيان بجملة الاعتراض {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}،والتي تؤكد بدلالات التكرار ،واقتران العطف، والإشباع بفعل الكينونة مع التقديم والقصر بـ(لكن) أن هذا الظلم نابع من أنفسهم جزاءً وفاقًا وهو ما مهد إليه السياق من قبل بقوله { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ } ما أوجب نفى جنس البشرى لهم وذلك في قوله تعالى في سورة الفرقان:{ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا }[١]

المتأمل في سورة الفرقان يجد أنها تجلى أعلى صور الإنكار والجحود التي لاكها المشركون متمثلة في إنكار المُنزِل – سبحانه وتعالى-، والمُنزَل القرآن الكريم، والمُنزَل عليه -صلى الله عليه وسلم-[٢]ما أوجب تسلية خاصة للحبيب المصطفى- صلى الله عليه وسلم-.

فطلب نزول الملائكة لدعوتهم لما كان من أعظم مظاهر الإنكار التي يتمسك بها المشركون كُرر في هذه السورة الكريمة ،وجاء في صدر مطالبهم مصدرًا بأداة التحضيض (لَوْلَا) التي تؤكد بما تحمله من تعجيز، وتهكم الإصرار ،والعناد ،والإلحاح وذلك في قوله تعالى{ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} [٣] ،وجاء التعبير على ألسنتهم بـ(الإنزال) لأن غاياتهم هي التشريف لهذا الرسول الذى لا يرقى في نظرهم أن يكون مبلغًا عن ربه والذى يشير إليه السياق بقوله:-{ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ

---

١) سورة الفرقان الآيتان (٢١،٢٢)

٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣١٧/١٨

٣) سورة الفرقان من الآية (٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ}[١]،وجاء التقييد بـــ(إلى) المشعرة بدلالات الانتهاء على البعد دون (على) الملائمة للتشريف والتكريم لينبئ عــن حقــدهم الــدفين ،وبغضهم الأثيم الذى تنطوي عليه نفوسهم؛ ولهذا نأوا فــي حــديثهم عــن إسناد (الإنزال) إلى لفظ الجلالة بالبناء للمفعول، يشعر بهذا تقــديم الجــار والمجرور (إليه) ،وكأن طلب إنزال الملائكة مختص به دون سواه إمعانًا في التحقير، والتقليل، ومن ثم قدم الظرف (معــه)، وجــاء بالجملــة الســببية { فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا }، والتي تستحضر بصيغة المضــارعة هــذا المشــهد، وتؤكد بفعل الكينونة رغبة الدوام ، والاستمرار التي تكشف عــن مكنــون صدورهم الذى كأنه يضمر استمرار الإنكار، والتكذيب حتى مع نزول الملك، وكأنَّ إضمار (أنْ) المصدرية بعد (الفاء) مع إيثارها قد جاء لينبئ عن هــذا ،ويشى به، يؤكد هذا التعبير بـــ (الإنذار)خاصة ،والذى كأنه رد لحكــم الله تعالى في قوله عن حبيبه –صلى الله عليــه وســلم– { لِيَكُــونَ لِلْعَــالَمِينَ نَذِيرًا }[٢]بما ينطق به من تشريف ينافى مقاصد التحقير التي يزعمونها.

فغايات التقليل والتحقير من شأن الحبيب المصطفى –صلى الله عليــه وسلم– هي التي اقتضت التدلي في المطالب وذلك في قوله تعالى { أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُــونَ إِلَّــا رَجُلًــا مَسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا }،فهذا التدلي كأنه يشير إلى فقده لكل مقومات التشريف التي ينبغي أن يتحلى بهــا من يكون مبلغًا عن ربه في نظرهم ،والتي صرح بها قــولهم فيمــا حكــى القرآن الكريم عنهم:{ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُــرْآنُ عَلَــى رَجُــلٍ مِــنَ الْقَــرْيَتَيْنِ

١) سورة الفرقان من الآية (٧)
٢) سورة الفرقان من الآية (١)

عَظِيمٍ }[١]، وإشارة إلى كذبهم، وتدليسهم الذى انطوت عليه نفوسهم من وراء مطالبهم هذه التي لا يبغون من ورائها إلا الإنكار ،والجحود أعاد السياق فعل القول، وأسنده إلى {الظالمون} مبالغة في إظهار التعنت ، والعناد، والذى يريد السياق أن يشير إليه بدلالات النفي والاستثناء ،والتي كأنها لا تراعى حالة الإنكار التي يكون عليها المخاطب ،وإنما تراعى حالة الإنكار التي يكون عليها المتكلم ،ولهذا جاءت التسلية للحبيب المصطفى- صلى الله عليه وسلم- مصدرة بما صدرت به السورة الكريمة التي تؤكد دلالات العزة، والقدرة ،والتنزيه في { تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا }[٢]،والتي كأنها جاءت لتنزع الأسى ،والألم الذى يعتصر قلب الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- من وراء هذا الإنكار ،والجحود الذى بلغ غايته ،ومنتهاه ،يشعر بهذا الإيناس الذى ينبض به الأمر بـ(النظر)خاصة في قوله تعالى:{ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا }[٣] والذى يجسد هذه الأحوال وكأنها أجسام ترى ،وتشاهد ،مقرونةً بالاستفهام (كَيْفَ) الحامل معانى التعجيب من مقالاتهم هذه والتي استعار لها الضرب تأكيدًا لدلالات الإصرار التي اقتضت الإخبار عن ضلالهم ،وعدم اهتدائهم بصيغة الماضي الدالة على التحقق مقرونة بصيغة المضارعة الدالة على استمرار هذا العناد في قوله { فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا } ،والذى يؤكد دلالات العجز عن مقاومة الأهواء.

---

١) سورة الزخرف من الآية (٣١)
٢) سورة الفرقان الآية (١٠)
٣) سورة الأنفال الآية(٩)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومبالغة في التسلية للحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– جاء الإضراب بالانتقال إلى بيان تكذيبهم بالساعة الذى يحقق لهم ما يطمعون فيه من رؤية للملائكة مما يؤكد عتوهم ،وعنادهم الذى جعلهم يتفوهون بمقالاتهم ،وادعاءاتهم الفاسدة الكاسدة التي تنفى كون الرسول بشرًا يأكل الطعام ،ويمشى في الأسواق ،وهو ما استدعى أن تأتى التسلية للرسول – صلى الله عليه وسلم– حاملة ملامح التأكيد الذى ينبض به أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}(١).

فالتأكيد بالنفي والاستثناء وما اقترن به من مؤكدات مع أنه ينزل المشركين منزلة من ينكر كون الرسل قبل ذلك كانوا بشرًا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق إلا أنه ينشر إيحاءً بأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– كأنه بما يراه من إنكار شديد ،وعناد مستميت صورته السورة الكريمة كأنه يشك في كون الرسالة منافية للبشرية ،ومن ثم خاطبه المولى– سبحانه وتعالى– بذلك لينزع منه هذا الهاجس الذى كأنه يتسلل إلى نفسه نتيجة شدة الإنكار ،وشدة العناد التي فاقت كل من سبقوه من رسل ،وأنبياء ،ولعل هذا ما يلمح إليه استدعاء {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}،والذى يشد من أزره –صلى الله عليه وسلم– ،ويذكره بالإنعام، والإحسان الذى تفيض به دلالات الربوبية التي ترعاه ،وتحيط به ،وتغشاه ، والتي اقتضت تذكيره بأحوال من سبقوه ممن تلفظوا بهذه المطالب ، وتمسكوا بها ،وذلك بقوله :{ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا

---

١) سورة الفرقان الآية (٢٠)

الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا * }

فالسياق آثر عطف القول بـ(الواو) ليشى بتنوع الإنكار ،وتعدده ؛ وكأنه يلفت الذهن إلى الداعي إليه ،والذى يصوره { لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا}، وعبر بالماضي { قَالَ} لأنَّ التعبير بالماضي مع دلالته على تحقق الوقوع كأنه يشى بأنَّ هذا طبع أزلي كائن في نفوس البشر منذ بدء الخليقة ،وجاء بالفاعل اسمًا موصولًا ليخبر بما تضمنته جملة الصلة التي تحمل معانى التعجيب من هؤلاء الذين ينكرون البعث، ويطلبون ما يتحقق لهم فيه من رؤية الملائكة، ورؤية الله –عزّ وجل– حال الإيمان ، ونفى السياق الرجاء ولم ينف الظن أو التمني للدلالة على نفى قرب تحقق هذا ،وفيه إشعار بالبغض والكره له ومن ثم عبر بـ (اللقاء) ،وجاء التعبير بـ(لولا) تلاؤمًا كما سبق مع دلالات الإصرار والإلحاح ،وجاء التعبير بـ (الإنزال) تحقيقًا لغايات التشريف التي اقتضت تقديم الجار والمجرور (علينا) إشارة إلى أنهم هم من يستحقون التشريف والتكريم بإنزال الملائكة عليهم دون غيرهم ممن يدَّعون النبوة على مر الأزمان ،ومن ثم جاء الترقي بالعطف بـ (أو) التي تلفت الذهن إلى الأنانية ،وحب النفس، والاستكبار والذى يلوح من (النون) في {نَرَى}ومن الإضافة في{رَبَّنَا}،واقتضى التأكيد بـ(اللام – وقد– والألف والسين والتاء)في { لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا }،مقرونًا بقيد { فِي أَنْفُسِهِمْ } الذى يشير إلى أنَّ هذا الاستكبار مستقر فيهم متمكن منهم ، وكأنَّ السياق بهذا الإشباع الذى يلوح من التأكيد بـ(اللام وقد) ، ومن الفعل المزيد(استكبروا) ،ومن التتميم بقوله { فِي أَنْفُسِهِمْ }، مع التعبير بالمفعول المطلق الموصوف بالكِبر الذى يلائم الأجسام والمحسوسات في

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قوله { وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } ينبه إلى علة هذا العناد ،وعلة هذا الإنكار الذى كان سببًا في نفى البشرى لهم يوم رؤية الملائكة.

وتهويلًا من شأن هذا اليوم صدَّر به المولى –سبحانه وتعالى– كلامه، واستحضره بصيغة المضارعة { يَرَوْنَ } والتي أوثرت بدلالتها على الإدراك الكامل[١] على التعبير بـ(التنزل) استدراجًا لهؤلاء المستكبرين المعاندين بتحقيق مطلوبهم الذى يخالف مقصودهم قبل نفى جنس البشرى عنهم مبالغة في التيئيس لهم، والتهكم بهم لكونه أوقع في الزجر والتعنيف المحقق لهول الموقف الذى اقتضى تعريف الملائكة بـ(أل) ووضعهم موضع المضمر، مع إعادة ذكر اليوم، وإضافته إلى (إذ) الظرفية ،وتقديمه على ذكر المجرمين المعبر بهم في هذا السياق خاصة لتأكيد دلالات قطع الأمل والرجاء[٢] الملائمة لقوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا}، والتي أوجبت نفى البشرى خاصة لكونها أول ما يصل إليك من الخبر السار[٣]،وذلك لأن الجرم مقارنة بالظلم المعبر به في السياقات السابقة أنبأ بالشدة وأخص بالإشعار بشناعة المرتكب[٤]

---

١) ينظر الفروق اللغوية ص: ٥٩ ، والمفردات في غريب القرآن –تأليف أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – ت: محمد سيد كيلاني –ص: ٢٠٨ ط: دار المعرفة – بيروت– لبنان–دون ، والكليات ص: ٤٧٤.

٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١ /٤٤٥(جرم)

٣) ينظر: الفروق اللغوية لأبى هلال ص:٢١٨

٤) ينظر: ملاك التأويل ١٥١/١.

والسياق بعنايته بذكر اليوم سواء أكان المقصود به يوم الوفاة أم يوم القيامة[١] كأنه يشير إلى أن هذا العذاب قد تجاوز الأشخاص والأحداث إلى الزمن الذي يكونون فيه، ولهذا جاء بجملة الحال {وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا} مقترنة بـ(الواو) ليجعلها في إثبات مستقل يوحى بهذا استحضار القول بصيغة المضارعة، واستعارة الحجر للمنع تجسيدًا، وإظهارًا له في صورة محسوسة مقرونًا بعلاقة المفعولية التي يفيد ها المجاز المرسل {مَحْجُورًا} والذي يجعل الحجر والمنع نفسه ممنوعًا.

١) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبى طاهر بن يعقوب الفيروز ابادى-ص٣٠٢-ط: مطبعة الأنوار المحمدية-القاهرة-دون، وروح المعاني ٨/١٩، وتفسير التحرير والتنوير ٦/١٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

أثر السياق في إسناد التوفى للملائكة في مقام الجهاد

الجهاد في سبيل الله – عز وجل– باب عظيم من أبواب الإسلام فرضه المولى –سبحانه وتعالى– على عباده ليكون سبيلًا من سبل نشر دينه ،ورفع رايته ، وحتى يشد من أزر نفوس عباده ، ويقوى عزائمهم ،ويربط على قلوبهم وعد عليه الثواب العظيم في الدنيا والآخرة ،وذلك لما له من وقع شديد على النفوس بما فيه من تعريض للقتل، وإزهاق للروح ،ولقد كانت من أعظم وسائل تثبيت المؤمنين ، وبعث الطمأنينة في نفوسهم لاسيما في بداية الدعوة إنزال الملائكة لمؤازرتهم ،ومساندتهم في تحقيق النصر، وهو ما اهتم القرآن الكريم بتقريره في مواضع شتى منه ، وكان من بينها مواطن التوفي وذلك فيما يلى:

في قوله –تعالى– :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }[1]

---

١) سورة الأنفال الآيات من(٤٥:٥٠)

وفى قوله –تعالى–:{ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ *فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ *}(١).

وفى قوله تعالى{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا* دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا* إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }(٢).

فقد ورد الموضع الأول في سورة الأنفال التي قامت على تعديد نعم الله – سبحانه وتعالى– التي كانت سببًا في نصر المؤمنين على المشركين متخذةً من ذلك سبيلًا لرد المؤمنين عن التنازع في أمر الأنفال الذى يعد

١) سورة محمد الآيات من (٢٠:٢٨)

٢) سورة النساء الآيات من (٩٥:٩٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

صورة من صور التعلق بالدنيا ، والرغبة فيها، مذكرة لهم بأن حالهم هذه هي التي دعت المشركين إلى الكفر ، وإلى العناد ، وإلى الاستكبار ،ولهذا جاء النهى عن الكينونة في قوله تعالى :{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }حاملًا معانى الإنكار، واللوم، والتوبيخ، والتعنيف تسلية للرسول –صلى الله عليه وسلم– الذى اجتمع عليه في هذا المقام عداء الكفار ،ومرض المنافقين ،وتنازع المسلمين تسلية تتجلى ملامحها في تعداد الأمر بطاعة الرسول–صلى الله عليه وسلم –مقرونة بطاعة الله –سبحانه وتعالى–[١]بل ذكر الرسول –صلى الله عليه وسلم– مقرونًا بذكر الله –سبحانه وتعالى– في مواضع عدة من سياق هذه السورة كما في قوله –تعالى– { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}[٢]،وقوله:{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[٣]وقوله:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }[٤]وقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ }[٥].

ولما كان تنزل الملائكة لقتال المشركين من أعظم مظاهر نصر الله –سبحانه وتعالى–، وتأييده لرسوله وللمؤمنين في غزوة بدر احتفلت هذه السورة الكريمة بترداد ذكرهم في مواطن عدة ،وكأنها تريد أن تنزع من نفوس أصحابه –صلى الله عليه وسلم– ما يخالج صدورهم من حب ،وتعلق

---

١) ينظر سورة الأنفال الآيات (١،٢٠،٤٦)
٢) سورة الأنفال من الآية(١)
٣) سورة الأنفال من الآية(١٣)
٤) سورة الأنفال من الآية(٢٤)
٥) سورة الأنفال من الآية(٢٧)

بالدنيا تمثل في رغبتهم في الغنائم ،وتنازعهم عليها متخذة من ترداد ذكر الملائكة وسيلة لتأكيد أن ما حصل لهم من نصر إنما هو في حقيقته من الله الذى أنعم ،وينعم عليهم ، ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء مخالفة نمط التعبير عند تسلية النبي – صلى الله عليه وسلم- بعد قول المنافقين ،والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم، وذلك بإيثار التعبير بـ(الواو) في (ولو) والتي كأنها باقترانها بـ(لو) الشرطية الامتناعية ،و(إذ) الظرفية تلفت وتنبه على عظم العذاب الذى أصاب ،ويصيب الكافرين عند التوفي سواءً أكان في ساحات القتال أم على فرش الموت، فحذف جواب الشرط جعل الذهن يسبح في تخيل عظم هذا العذاب دون الوصول إلى طائل تحيط به الفكرة، وكأن العقل يعجز عن كنه الوصول إلى حقيقة هذا العذاب الذى تعجز الإنسانية عن إدراكه وتصوره.

فذكر الرؤية في هذا السياق كأنه يمهد إلى نشر وافتضاح قبائحهم ، يوحى بهذا استحضار هذا المشهد بصيغة المضارعة في (تَرَى – يَتَوَفَّى) مع أن (لو) مختصة بالدخول على الماضي ،وأوثرت على غيرها تلاؤمًا ، وتحقيقًا لدلالات امتناع رؤية العذاب العظيم لامتناع رؤية الملائكة أثناء التوفي ، وآثر السياق الرؤية على النظر لأنها فضلًا عن تحقيقها لنشر فضائح وقبائح المشركين ،وتناغمها مع مقامات الإنعام في قوله تعالى:{ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا }[١]، وقوله{ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ }[٢]- تأتى في مقامات إدراك المرئي، وتحققه بخلاف النظر الذى قد يكون دون رؤية[٣].

---

١) سورة الأنفال من الآية (٤٣)

٢) سورة الأنفال من الآية (٤٨)

٣) ينظر: الفروق اللغوية ص ٥٨ ،٥٩ والمفردات ص: ٢٠٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقدَّم المفعول به {الَّذِينَ كَفَرُوا} على الفاعل {الْمَلَائِكَةُ}للعناية والاهتمام بإظهار ما سيصيب هؤلاء الكافرين من عذاب وإهانة ؛ لأن أصل الحدث في هذا السياق الجزئي يدور عليهم، وذلك في النهى بقوله :{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} وقوله {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ} ، وقوله {إِنِّي جَارٌ لَكُم} ،وقوله:{ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ}، وقوله:{إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} وقوله: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ }؛ ولهذا آثر التعبير بالاسم الموصول {الَّذِينَ } لتمييزهم والإشارة إلى أن كفرهم ظاهر جلى معلوم لا ينكره منكر، ولا يخفى على أحد ، وتعويضًا عن تأخير الفاعل{الْمَلَائِكَةُ } آثر السياق تعريفه ليتلاءم مع عظم العذاب الذى اقتضى المعنى عدم النص عليه ليجعل النفس تذهب في تصوره كل مذهب ، والذى يعد الإسناد المجازي سببًا من أسبابه.

وجاءت جملة الحال :{ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ }بصيغة المضارعة لاستحضار هذا المشهد المهين المخزي المتمثل في ضرب الوجوه والأدبار خاصة تحقيقًا لمعاني الإذلال والإهانة التي كانت نتيجة البطر والكبر، والرياء والصد الذى قصد إليه المشركون من وراء خروجهم لمقاتلة المسلمين ، وقطع دابرهم ،واستئصال شأفتهم ،وطمس هويتهم، واختيار السياق للوجوه ،والأدبار خاصة لأنها موضع العزة والشرف، فالإنسان كما يحرص على صيانة وجهه من أن تظهر عليه شائبة عيب يحرص على صيانة عرضه ،ومن ثم يهتم بستره وحمايته ،وفيه إيماءة إلى أن الإهانة إنما تشمل ظواهرهم وبواطنهم وهذ آكد في تقرير عظم العذاب الذى يحيط بهم في هذا المقام.

وزيادة في التبكيت ،والإهانة ،والإذلال قرن السياق التعذيب بالفعل المتمثل في ضرب الوجوه والأدبار بالقول في {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }، وجاء به معطوفًا على ما سبقه ليجعله في إثبات مستقل وكأنه عذاب آخر ، ووعيد آخر ،وتنكيل آخر ،وعبر بالفعل الأمر{ذُوقُوا} الحامل معانى الإهانة ، والتوبيخ؛ ليصور بدلالة الاستعارة عذاب الحريق، وكأنه طعام أو شراب يدرك بحاسة الذوق، وذلك مبالغة في التهويل من شأنه؛ ولهذا أسنده إليهم، وأضاف العذاب إلى الحريق للدلالة على كونه بدون لهب :"فحرق الشيء إيقاع حرارة في شيء من غير لهيب"[١]،وكأنه سبحانه وتعالى يشير إلى شدة الضرب المصاحب للتوفي، والذى يحدث شيئًا في الجسد يشبه الحرق في شدته يشعر بهذا إيثار التعبير بصيغة المبالغة { الْحَرِيقِ } متبوعًا باسم الإشارة {ذلك} الموضوع للبعيد مقرونًا بسببيته{ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ }،فالباء بأصل دلالتها على الإلصاق تدل على قربهم، وملابستهم ،ومداومتهم على الأعمال التي كانت سبب عذابهم على أيدى الملائكة كما وصفته الآيات ، ودلالة على أن أعمالهم هذه كانت نابعة عن جهل، وعمى، وضلال آثر السياق الإتيان بـ(ما) الموصولة الموضوعة لغير العاقل ،وتأكيدًا لاستحقاقهم لهذا العذاب وأنه كان نتيجة مبادرتهم بالسيئات ، وسبقهم إليها جاء التعبير بالفعل { قَدَّمَتْ } دون {عملت} والذى يحمل معانى الإصرار والقصد والتي اقتضت التعبير بالمجاز العقلي بعلاقته الجزيئة المفادة من إسناد التقديم إلى (الأيدي) الدالة على أن معظم الأعمال كانت صادرة عنها ، فمعانى الإصرار ، والتعمد، والقصد التي يحملها التعبير المجازي كأنها هي التي اقتضت الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لأنه أقدر على تحقيق الإهانة ،والتقريع ، واللوم، والتعنيف الذى اقتضى هذا العذاب المنصوص عليه خاصة.

---

١) ينظر: المفردات للراغب ص: ١١٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم إنَّ الإتيان بجملة التذييل :{ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} بعد جملة { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ } كأنه جاء ليلائم عظم العذاب الذى يلقاه المشركون على أيدى الملائكة، والذى تعجز الفطرة الإنسانية عن إدراك كنهه ، وحقيقته، وهو ما اقتضاه الإتيان بالشرط المحذوف الجواب في {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ}؛ وكأنَّ هذا العذاب لعظمه ، وهوله ،وفظاعته يجعل النفوس تسول لأصحابها أن ثمة ظلم واقع على هؤلاء المعذبين ،وهو ما أراد أن ينزعه المولى –سبحانه وتعالى– بجملة التذييل الجارية مجرى المثل ، ولعل هذا ما يكمن وراء الإتيان بها في إثبات مستقل بعطفها على ما قبلها، وتأكيدها بـ (أنّ) ،واسمية الجملة ،والنفي بالفعل {ليس} المقرون خبره بـ(الباء) الداخلة على صيغة المبالغة {ظَلَّامٍ}،والتي كأنها فضلًا عما سبق تناغى الإنكار، والبطر، والطغيان الذى كان عليه المشركون ، والمنافقون ،ومن ثم جاء ذكر العبيد خاصة ليذكِّر بالطاعة، ويدعو إليها ، ويظهر الحقيقة الإنسانية التي ينبغي أن تتحلى بالاستكانة، والتواضع ، والانقياد لأمر الله والتي يدعو إليها سياق سورة محمد في قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ *فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا *إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ *فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ

الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ*}.

يعد التحريض على قتال المشركين من أعظم مقاصد سورة محمد؛ ولهذا أُطلق عليها سورة القتال[١]، فهي بعد أن مهدت للأمر بالقتال ببيان إضلال أعمال الكافرين، وتكفير سيئات، وإصلاح أحوال المؤمنين، وصرحت بذكر ما أعده الله -سبحانه وتعالى-لكليهما من نعيم مقيم، وعذاب مهين - انتقلت على سبيل التقريع لتصف وتصور لنا أحوال طائفة من الكافرين الذين ألح السياق على تقرير ضلال أعمالهم ألا وهم المنافقون؛ وذلك لأن القتال من أعظم المواقف التي جلت حقائقهم، وكشفت عن مكنون صدورهم.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:" فلما جرى في هذه السورة وصف حال المنافقين أعقب ذلك بوصف أجلى مظاهر نفاقهم، وذلك حين يُدعَى المسلمون إلى الجهاد فقد يضيق الأمر بالمنافقين إذ كان تظاهرهم بالإسلام سيلجئهم إلى الخروج للقتال مع المسلمين، وذلك أمر ليس بالهيّن لأنه تعرض لإتلافهم النفوس دون أن يَرْجُو منه نفعاً في الحياة الأبدية إذ هم لا يصدقون بها فيَصبحوا في حيرة. وكان حالهم هذا مخالفاً لحال الذين آمنوا الذي تمنوا أن يَنزل القرآن بالدعوة إلى القتال ليلاقوا المشركين فيشفوا منهم غليلهم، فبهذه المناسبة حُكي تمني المؤمنين نزول حكم القتال لأنه يلوح به تمييز حال المنافقين، ويبدو منه الفرق بين حال الفريقين"[٢]

فهذه السورة الكريمة بعد أن دلت على تمكن الكفر من المنافقين بالتعبير بالطبع على قلوبهم، وجعلتهم في مقابلة المهتدين الذين زادهم الله

---

١) ينظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/٤٨٦،٤٨٧

٢) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/١٠٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

-سبحانه وتعالى- هدى وآتاهم تقواهم استأنف السياق حديثًا خاصًا عنهم يبين، ويصف، ويصور أحوالهم، وذلك بقوله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}.

فالسياق آثر التعبير بصيغة المضارعة :(ويقول) ليستحضر هذا المشهد الذي يبين أحوال المؤمنين، وحرصهم ،ورغبتهم في الجهاد ،واستمرارهم ومداومتهم على طلبه، والذى كان سببًا في نزول هذه السورة ،والذى يشعر به قرن الفعل المضارع (يقول) بـ (الواو) مبالغة في التنبيه إلى ذلك ،وإظهارًا للعناية بهذا السياق الجزئي من هذه السورة والذى اقتضى الإتيان بالاسم الموصول {الَّذِينَ} الذى يدل على كمال العناية بهؤلاء المؤمنين، وتمييزهم أكمل تمييز ،فضلًا عن دلالات الصلة التي تشير إلى أنَّ إيمانهم أمر واضح جلى لا ينكره منكر، وتأكيدًا لدلالات الحرص والإلحاح آثر السياق التمني بأداة التحضيض (لولا) دون (لو).

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "و(لولا) حرف مستعمل هنا في التمني، وأصل معناه التحضيض فأطلق وأريد به التمني؛ لأن التمني يستلزم الحرص، والحرص يدعو إلى التحضيض"[١]، ولعل هذا ما اقتضى التعبير بالفعل المضعف (نُزِّلَتْ).

وجاء التعبير بـ(إذا) الشرطية الدالة على تحقق الوقوع مقترنة بـ(الفاء) الواقعة جوابًا للاسم الموصول لتضمنه معنى الشرط لينبه إلى أن تصوير أحوال المنافقين حين تنزل الأمر بالقتال هو أصل الحدث الذى تقصد

١) تفسير التحرير والتنوير ١٠٧/٢٦

إليه المعاني في هذا السياق الجزئي ،وكأن ما سبقها من استحضار للمشهد بصورة المضارعة ،ومن تعبير بالاسم الموصول ،ومن تمنٍ بأداة التحضيض (لولا) ومن تضعيف للفعل(نُزِّلَتْ)،ومن تنكير للسورة تأكيدًا لعظمتها – ما هو إلا ومضات قد جاءت لتكشف عما يخالج نفوس المنافقين من مكر ،وخداع، ومراوغة، هذا فضلًا عما تظهره من مكانة عظيمة للمؤمنين ،وذلك بعرضهم في صورة المقابلة كما هو سمت بناء هذه السورة الكريمة.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:" فالمقصود من هذه الآية هو قوله: {فإذا أنزلت سورة محكمة وذُكِر فيها القتال رأيتَ الذين في قلوبهم مرض} الآية، وما قبله توطئة له بذكر سببه، وأفاد تقديمه أيضاً تنويهاً بشأن الذين آمنوا، وأفاد ذكره مقابلةً بين حالي الفريقين جريا على سنن هذه السورة"(١).

فجملة :{ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} كأنها بتولدها ،وخروجها من رحم جملة :{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ}تلائم تولد وخروج المنافقين من رحم المؤمنين ،ومفارقتهم لهم ،يشعر بهذا التفصيل الذى اتسمت به جملة فعل الشرط من وصف للسورة بكونها محكمة ،وما عطف عليها من ذكر للقتال ،وإيثار للتعبير بالفعل (رأيتَ) في جواب الشرط ،والذى يتلاءم مع دلالته على التحقق بصيغة الماضي مع استحضار هذا المشهد مقرونًا بالكناية عن المنافقين بجملة { الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ }،فالاسم الموصول يدل على كمال العناية بهم، وتمييزهم أكمل تمييز ،وفيه تحقيق للمقابلة التي تقصد إليها السورة ، وجاءت جملة الصلة جملة اسمية للدلالة على ثبات هذا الوصف لهم

١) تفسير التحرير والتنوير٢٦ /١٠٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

،واستمراره معهم ،وبذا تتلاءم مع دلالات الاستمرار التي تنبض بها صيغة المضارعة :{ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ }، والتي تشى باستمرار ،وتجدد هذا الطلب منهم رغبة في نصرة دين الله، ونشره بين الناس ،وقدم الجار والمجرور على المبتدأ { مَرَضٌ } ليقصر المرض على كونه في قلوبهم ،وينفيه عن غيرهم مبالغة في إظهار قبحهم، وعظم جرمهم ، واستعار المرض للكفر ،والنفاق ليتلاءم مع التجسيد الذى تقصد إليه المعاني من تشبيه نظرهم حين نزول الأمر بالقتال بنظر المغشى عليه ،وحتى يؤكد عظم الخوف الذى أصابهم جاء بقيد { مِنَ الْمَوْتِ }،وذلك لأن الخوف من القتال هو الذى جعل هؤلاء المنافقين يرتدون على أدبارهم ،ويطيعون الذين كرهوا ما أنزل الله ،وكأن المولى –سبحانه وتعالى– بقوله حكاية عن المنافقين { سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ }يريد أن يبين أن إطاعتهم لهم في شأن القتال ليس من باب المساندة ،والمعاضدة لهم ،وإنما هو بسبب الخوف على أنفسهم ،وأن هؤلاء لا يطيعون إلا ما يحقق أهدافهم، ومصالحهم، ورغباتهم ؛ولعل هذا ما قصد إليه المولى سبحانه وتعالى بقوله :{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ } أي ما يخفون من خوف من القتل لا يظهرونه لمن يزعمون أنهم معهم ،ولعل هذا هو سر التعبير بمصدر الفعل المتعدي (أسرَّ) الذى يشير بزيادة مبناه على قصد، وتعمد الإخفاء، والاضمار، ولعل هذا ما ينبض به التأكيد الذى يفيده التقديم في جملة : {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ }،وهو ما اقتضى تذكيرهم بقبض الملائكة أرواحهم إن لم يكن بالقتل في سبيل الله – تعالى– فبالموت، وذلك بالاستفهام الذى يحمل معانى التعجب من مكرهم، وخداعهم، ومراوغتهم حتى مع من يزعمون أنهم مؤيدون لهم ممن كرهوا ما أنزل الله، ومبالغة في التأكيد جاء الاستفهام التعجبي الحامل معانى

التبكيت ،والتوبيخ ،والتقريع لهم مقترنًا بـ(الفاء) الواقعة جوابًا للاسم الموصول المتضمن معنى الشرط ليشير إلى الترابط، والتواصل النفسي الكائن بين أعداء الإسلام رغم تنوع المشارب ،واختلاف المقاصد.

والسياق بحذفه للمستفهم عنه كأنه يرخى للذهن العنان في تخيل وتصور كل وسائل الحيل، والمكر، والمراوغة التي يمكن أن تطرأ على أذهان هؤلاء ولا تجدى لهم نفعًا، ولا يجدون منها مهربًا.

وتلاؤمًا مع عناصر اللفت والتنبيه التي يفيدها العطف بـ(الفاء) ،والاستفهام جاء التعبير بـ(إذا) الشرطية الدالة على تحقق الوقوع ،وكأنها جاءت لتتناغى مع (إذا) الشرطية في قوله تعالى{ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ }،وفى قوله تعالى { فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا } فضلًا عن التناغي مع التأكيد الذى ينشره قوله تعالى :{ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ } وقوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ }، وقوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ } ،فدلالات تحقق الوقوع التي تفيدها (إذا) بما لها من وقع في تحقيق التوبيخ ،والتعنيف ،والتقريع هي التي اقتضت التعبير بالفعل الماضي {تَوَفَّتْهُمُ}، ودلالات التوكيد ذاتها هي التي اقتضت الإتيان بـ(تاء التأنيث) مقارنة بسورة النساء التي عبرت بالفعل {توفاهم} لأن السياق في سورة محمد أعنف وأقوى لاقتران التوبيخ والتقريع فيه بالضرب بخلاف سورة النساء –كما سيأتي– فالتوبيخ ،والتقريع فيها كان بالقول، وأسند التوفى للملائكة على سبيل المجاز العقلي لتهويل الموقف وتشنيعه ، يشعر بهذا التعريف بـ(أل) دون الإضافة التي تنشر الرحمة و اللطف ، وتتنافى مع التقريع ،والتوبيخ ، والتعنيف الذى تفيده جملة الحال{ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ } والتي تستحضر هذا المشهد بصيغة المضارعة ليكون

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ماثلًا أمام أعينهم ،وأعين من يترصدون أحوالهم على مر الدهور ،وخُصَّت الوجوه والأدبار ؛لأن الوجوه هي الملائمة للإقبال في قوله تعالى: {يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}،والأدبار هي الملائمة للتولي في قوله تعالى:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ }، وفى قوله تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ }،كما أنها تتلاءم مع سمت السورة القائم على المقابلة في تقرير معانيها.

وعدم احتفال السياق بتأكيد جملة الحال :{ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} يشعر بأن غايات المعاني في هذا السياق كأنها لا تهتم بتقرير صورة التعذيب بقدر ما تهتم ببيان أسبابه، وملابساته ،ودواعيه ؛ولهذا اكتفى السياق بالإيماء إلى عظمته ، وهوله ،وفظاعته باسم الإشارة الموضوع للبعيد { ذَلِكَ } ،وجعله مطية لبيان أسبابه ،والتي استهلها بالتأكيد بـ(أنَّ) المقرونة بـ(الباء) السببية التي تدل بمعاني الإلصاق على شدة ملابستهم، وتعلقهم بكل ما يسخط الله ،ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء الإتيان بجملة التذييل:{ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ }،والتي تصور مع سابقتها التي تغنى عنها إلحاحهم ،وعنادهم، واستكبارهم الذى أوجب إحباط أعمالهم الصالحة التي كانوا يؤدونها مكرًا وخداعًا ،وكذبًا وتدليسًا.

يقول أبو هلال العسكري:" الإحباط هو إبطال عمل البر من الحسنات بالسيئات، وقد حبط هو ومنه قوله تعالى {وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا}[١] وهو من قولك حبط بطنه إذا فسد بالمأكل الرديء"[٢].

---

١) سورة هود من الآية (١٦)

٢) الفروق اللغوية ص: ١٩٦، والكليات ص:٥٧

وإيثار السياق لذكر الوجوه والأدبار ، واختصاصها بالضرب يتلاءم مع الإهانة والإذلال، والتحقير والتوبيخ نتيجة التكبر والتعنت والذى اقتضى الإعراض عنهم بالتعبير بالغيبة في قوله تعالى:{ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ... أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا...إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ...ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ...فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} يشعر بهذا وصف السياق لهم بـ (الاتباع) الدال على انعدام الشخصية ،والتعبير بالاسم الموصول الموضوع لغير العاقل الدال على كونه اتباع عن جهلٍ وعمى للبصر والبصيرة كما هو مفاد قوله تعالى : { فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } بما اشتمل عليه من تتميم اقتضاه إيقاع الإعماء على الأبصار مع أنه لا يكون إلا لها ، ودلالة على أن هذا أمر واضح ظاهر متحقق لا ينكره منكر جاءت جملة الصلة بصيغة الماضي {أسخط }،والتي تدل مقارنة بالفعل {أغضب} على عظم وجرم ما اتبعوه نتيجة تعنتهم،واستكبارهم لأن السخط هو الغضب الشديد المقتضى للعقوبة[١] ،يشعر بهذا إسناد الإسخاط إليه ،وقرنه بجملة {وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ }.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:" والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار، ففي الكلام أيضاً محسن اللف والنشر المرتب. فكان ذلك

١) ينظر: الفروق اللغوية ص: ١٠٦ ، والمفردات في غريب القرآن ص : ٢٢٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التعذيب مناسباً لحالَيْ توقيهم في الفرار من القتال وللسببين الباعثين على ذلك التَوقي "[١]

وهذا بخلاف التوبيخ والتقريع الوارد على ألسنة الملائكة في سورة النساء فقد راعى حال ادعاء الضعف وعدم القدرة وذلك في قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا* دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا* إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا*إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}.

تعد الدعوة إلى الاجتماع والتواصل، والتعاطف والتراحم من أعظم معاقد المعاني التي تقصد إليها سورة النساء ،ومن ثم ابتدأت بالنداء العام لكل الناس ،وذلك لأن أمهات الفضائل أربع :العلم والشجاعة ، والعفة والعدل ،وقد جاءت سورة آل عمران داعية مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنتين فيهما وهما العلم والشجاعة ،وجاءت سورة النساء داعية إلى الفضيلتين الباقيتين وهما العفة والعدل مع تأكيد الخصلتين الأخريين حسبما تدعو إليه المناسبة ،وهو ما أثمر عن التواصل بالإحسان ، والتعاطف بإصلاح الشأن للاجتماع على طاعة الديان ،ولما كان السبب الأعظم في

١) تفسير التحرير والتنوير ١١٩/٢٦

الاجتماع، والتواصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سميت هذه السورة بسورة النساء ،لأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذى لبابه التوحيد [١].

ولما كانت من أعظم وسائل الاجتماع والتواصل التي تدعو إليها هذه السورة الكريمة هي طاعة الله ، وطاعة رسوله–صلى الله عليه وسلم– لاسيما في مقامي الهجرة والجهاد اللذين يعدان من أعظم الأمور التي تشق على النفوس والتي صورها سياق السورة بقوله:{ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}[٢]،وقوله:{فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا }[٣]،والتي أراد السياق أن ينزعها بقوله:{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ }[٤]، وبترغيبه في الجهاد بقوله:{ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[٥]،لاسيما وأن القتال في سبيل الله هو السبيل إلى تخليص المستضعفين من الرجال ،والنساء ،والولدان الذين لا يجدون حيلة في تحقيق أمر الله –عز وجل–لهم بالهجرة ،وهو ما صورته السورة الكريمة بقولها:{ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

---

١) ينظر :مصاعد النظر ٢/٨٨،٨٩ ،ونظم الدرر ٢/٢٠٤،٢٠٥

٢) سورة النساء من الآية(٦٦)

٣) سورة النساء من الآية (٧٧)

٤) سورة النساء من الآية (٧٨)

٥) سورة النساء من الآية (٧٤)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا}(١).

فتحقيقًا للعدل الذي يعد من أبرز مقاصد هذه السورة الكريمة، والتي اهتمت بتقريره حتى في التعامل مع المنافقين الذين اتخذوا من ادعاء الضعف، وعدم القدرة وسيلة لترك الهجرة المفروضة عليهم، والركون إلى المشركين –دعا سياق هذه السورة إل التثبت، والتبين أثناء القتال، وذلك لأن المشركين كانوا يصحبون المستضعفين من الرجال والنساء والولدان المؤمنين الذين لا يجدون حيلة إلى مسارح القتال مما يجعلهم عرضة للقتل على أيدي المسلمين.

ولهذا دعا القرآن الكريم إلى التثبت أثناء القتال تعظيمًا لحرمة المؤمن المنصوص عليها بقوله –تعالى–:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً}(٢)، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا}(٣)، يشعر بهذا إيثار التعبير بأداة النداء (يَا) الموضوعة للبعيد بما تحمله من تهيئة وتنبيه ،مقرونة بـ(إِذَا) الدالة على تحقق الوقوع داخلة على الفعل {ضَرَبْتُمْ } بما ينبض به من قوة ،وصولًا إلى الأمر بالتبين الوارد بصيغة (التفعل) للمبالغة، وتكراره عناية ،واهتمامًا به إذ هو أصل الحدث الذى تقصد إليه المعاني في هذا السياق.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "التبين: شدة الطلب أي التأمل القوى حسبما تقتضيه صيغة التفعل"(٤)

---

١) سورة النساء الآية (٧٥)
٢) سورة النساء من الآية (٩٢)
٣) سورة النساء من الآية (٩٤)
٤) تفسير التحرير والتنوير ١٦٧/٥

وجاء نفى التسوية بين القاعدين عن الجهاد والمجاهدين في سبيل الله بعد الأمر بالتبين، والتثبت ليشير إلى استشعار المؤمنين للخطر الذى يحيط بهم في مقام القتال خشية إصابة من لم يتحقق كفره مما قد يدعوهم إلى الفتور بعد الحماس الذى أشعر به استعارة الضرب للجهاد بما يحمله من قوة تلائم الاستجابة لأمر الله –تعالى– رسوله في قوله: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا }[1]،وهو ما أراد السياق أن يصرفه عن النفوس بنفي التسوية هذه ،وبيان فضائل الجهاد في سبيل الله ،والتي كأنَّ السياق يبث من ورائها الحماسة في نفوس هؤلاء المستضعفين الذين استكانوا للمشركين، وتركوا الهجرة في سبيل الله –تعالى– ففيه تعريض بمنافقي مكة الذين أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، ورفضوا الهجرة بحجة الضعف ،وعدم القدرة عليها، وهو ما أراد السياق أن يوبخهم عليه بالتأكيد بـ(إنَّ) التي تشير إلى تحقق الوفاة في كل الظروف والأحوال ،وأن كونه في مقام الفضيلة أدل، وأجدر ،وأحق ؛ ولهذا عبر بصيغة الماضي { تَوَفَّاهُمُ } التي تحقق بمادتها معانى الاستيفاء ،وأسندها إلى الملائكة ليومئ إلى ما تنطوي عليه نفوس هؤلاء المنافقين الذين أخبر عنهم المولى –سبحانه وتعالى– بقوله:{ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}–من إنكار ،وجحود ،ورغبة في تنزل الملائكة لدعوتهم كما هو شأن ،وديدن أهل مكة في جحودهم ،وإنكارهم ،وعنادهم ، وهو ما استدعى إضافة الظلم إليهم دلالة على ثبوت هذا الوصف لهم ،واستمراره معهم في كل أحوالهم في حال إظهار الإسلام أو في حال إضماره، يؤيد هذا دعوتهم إلى تدبر القرآن ،ومعرفة أحكامه التي تنزع عنهم ما تنطوي عليه نفوسهم بقوله:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }[2].

---

١) سورة النساء من الآية (٨٤)
٢) سورة النساء الآية (٨٢)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتناغيًا مع عناصر التوكيد التي صُدر بها مقام التوبيخ والإنكار هذا جاءت مخاطبة الملائكة لهم بالفعل الماضي { قَالُوا} الدال على تحقق الوقوع، والمفسر بـ(في) الظرفية المجازية الداخلة على (ما) الاستفهامية والتي كأنها جاءت لتشير إلى شدة تلبسهم بما هم فيه من عناد واستكبار أودى بهم ، وأفقدهم عقولهم ،كما هو مفاد دلالات غير العاقل التي يحملها الاستفهام بـ(ما) الذى يشير إلى حقارة ما تعلقوا به ،وضحوا من أجله، وكأن استقلالية هذه الجملة وعدم جعلها قيدًا من قيود جملة { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} يشير إلى عظم هذا التوبيخ ، وعظم هذا التعنيف وكأنه أصل الحدث الذى تقصد إليه المعاني من وراء ذكر التوفي ، وإسناده إلى الملائكة ، ولعل هذا ما دعا بعض المفسرين إلى قولهم إنَّ جملة : { قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ }بدل اشتمال من قوله:{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ}[١]، لاسيما وأنها هي التي خرجت من رحمها جمل الاستئناف البياني التي كانت سبيلًا من سبل استدراجهم لإثبات الحجة عليهم بالتقصير في جنب الله، وذلك لأن جملة : { قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ } فصلت عما قبلها لشبه كمال الاتصال لأن قوله تعالى حكاية عن الملائكة{ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ } أثارت سؤالًا تقديره فما كان جوابهم؟، فجاءت جملة:{ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ } لتقر في النفوس بعد التهيئة لها بالسؤال استدراجًا لهم ، لإثبات الحجة عليهم بالتقصير ،لاسيما وأن في التصريح بالقول إثبات للكذب والتدليس الذى كانوا فيه حتى في مقام النزع، ولهذا أعادوا فعل الكينونة : { كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ }،وقيدوا الاستضعاف الواقع عليهم بكونه في الأرض ، ليفيدوا بدلالات الظرفية التقييد والتثبيت ،وكأنهم بجعلهم (الأرض)

---

١) ينظر: التحرير والتنوير ١٢٥/٥.

مدخولًا لحرف الجر (في) فضلًا عن التأكيد الملائم للاعتذار يشيرون إلى أن الاستضعاف الواقع عليهم لم يكن من القوم فحسب ،وإنما كان من الأرض التي يقطنون بها وأنها هي ذاتها كانت تحيط بهم ،وتمنعهم من مفارقتها مبالغة في تصوير المعاناة التي يزعمون أنهم كانوا فيها افتراءً وبهتانًا، ولهذا جاء تعريف الأرض بـ(أل) ليشير إلى جانب ما سبق إلى تأكيد العموم والشمول الدال على كثرة الكفار المحيطين بهم ، ففيها " إشارة إلى أنها عندهم لاتساعها لكثرة الكفار هي الأرض كلها"[١]، وهذا أقدر على تصوير الاستضعاف الذى كانوا فيه كما يزعمون.

وعدل السياق عن التصريح بالتكذيب في رد الملائكة عليهم إلى ما ورد عليه النص القرآني :{قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا }؛ لأن غايات المعاني من وراء هذا الحوار الذى يدور بين الملائكة وهؤلاء الظالمين أنفسهم في هذا المقام التعليمي الترغيبي كأنها تقصد إلى التوبيخ ،والتقريع ،والتأنيب لهم ؛لأن سؤالهم عما كانوا فيه {فِيمَ كُنْتُمْ} إنما كان في وقت لا يجدى لهم نفعًا فهو وقت لا ينفع فيه نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، وفى رد هؤلاء الظالمين عليهم بالتأكيد بالفعل الماضي { كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ } ما يدل على مدى حرص هؤلاء على المراء والجدال حتى بعد فوات الأوان ؛ولهذا جاء رد الملائكة عليهم بقولهم :{ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا } مجاراة لهم في المراء والجدال لإسكاتهم بالحجة والدليل مبالغة في التأنيب، والتوبيخ ،والتقريع ،وذلك لأن حقيقة عدم هجرتهم ،وبقائهم مع المشركين إنما كانت خوفًا على أملاكهم ،وأموالهم التي كان المشركون سيأخذونها لو

١) نظم الدرر للبقاعي ٣٠٣/٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هاجروا ،وتركوا أوطانهم؛ ولهذا صُدِّرت هذه الجملة التي فصلت عما قبلها لشبه كمال الاتصال بالفعل الماضي :{قَالُوا} لتهيئة النفوس ،وشحذ الانتباه إلى ما يرتبط به من توبيخ ،وتقريع ،وتبكيت أفاده الاستفهام الداخل على النفي المفيد للجزم ، وقلب الحكم إلى الماضي في {أَلَمْ تَكُنْ}، والذى كأنه بدخوله على الفعل المضارع { تَكُنْ } جاء لينزع المكر والخداع الذى يلوح من تأكيد كلامهم بالتعبير بالفعل الماضي { كُنَّا } في مقام يعلمون فيه يقينًا بدلالات المضي انقضاء الأمر ،ونفاده.

فالتوبيخ ، والتقريع ، والتأنيب الذى ينبض به هذا السياق كأنه هو الذى اقتضى إضافة الأرض إلى لفظ الجلالة إشارة إلى أن الرزق ،والحفظ إنما يكون من الله – عز وجل –وأنهم لو علموا ذلك يقينًا لما ركنوا إلى المشركين ،وتركوا إقامة شعائر الله –تعالى– خوفًا على تجاراتهم ، وأموالهم، وما هم فيه من عرض دنيوي زائل ، فعند الله كما أخبر المولى – سبحانه وتعالى – في سياق هذه الآيات مغانم كثيرة ،ولهذا أخبر عن الأرض بصيغة اسم الفاعل { وَاسِعَةً }الدالة على الثبوت تأكيدًا لسعة الرزق، وسعة العطاء ، وسعة المنح التي تقتضى سرعة الهجرة كما هو مفاد (الفاء) العاطفة في {فَتُهَاجِرُوا فِيهَا }،والذى يعد أصل الحدث الذى يدعو إليه السياق في هذا المقام، والذى آثر المعنى تقييده بـ (في) الظرفية المكانية ليحقق معانى الإبعاد فرارًا بالدين، وإقامة للعدل ،وتحقيقًا للتواصل الذى تدعو إليه مقاصد هذه السورة الكريمة إلى جانب أن فيها قوة كأنها تدعو إلى طرد الخنوع، والجبن ،والاستكانة التي كان فيها هؤلاء الذين دفعهم عرض زائل من أعراض الدنيا لخسارتها و الآخرة ،وفى تكرار (في) في هذا السياق داخلة على الأرض بدلالتها على الظرفية إشارة إلى الموت الذى ينتظر

الجميع مسلمًا وكافرًا ،مجاهدًا وقاعدًا ،مخلصًا ومنافقًا، إلى غير ذلك من إشارات ،وتنبيهات تعجز الألسنة عن تسطيرها ،وكأن (الفاء) في {فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } تشى بشيء من هذا ،بل وتنبه إلى عاقبة هؤلاء الذين عُبر عنهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد دلالة ،وإيحاءً ببعدهم عن جادة الهداية، وطريق الرشاد بخنوعهم ،واستكانتهم، وحبهم للدنيا ،وركونهم إليها ،هذا الحب وهذا الركون الذى أخرس ألسنتهم، وجعلهم لا يستطيعون جوابًا، وكأنَّ السياق بترك ذكر إجابتهم كأنه يرسم صورة الخزي، والذلة التي جعلتهم لا ينطقون ببنت شفة.

يقول العلامة أبو السعود:" كانت الطائفةُ المذكورةُ قد خرجت مع المشركين إلى بدرٍ منهم قيسُ بنُ الفاكِهِ بنِ المغيرةِ وقيسُ بنُ الوليدِ بنِ المغيرة وأشباهُهما فقُتلوا فيها فضَرَبت الملائكةُ وجوهَهم وأدبارَهم ، وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعاً وتوبيخاً لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكَفَرةِ وانتظامِهم في عسكرهم ، ويكون جوابُهم بالاستضعاف تعلّلاً بأنهم مقهورين تحت أيديهم وأنهم أُخرجوهم كارهين فرُدَّ عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكّنين من المهاجرة { فَأُوْلَئِكَ } الذين حُكِيت أحوالُهم الفظيعةُ {مَأْوَاهُمْ} أي في الآخرة {جَهَنَّمُ} كما أن مأواهم في الدنيا دارُ الكفرِ لتركهم الفريضةَ المحتومةَ"(١).

فالعلامة أبو السعود بقوله :"كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة" كأنه يشير إلى أن إيثار لفظة {مأواهم} في هذا السياق جاءت تأنيبًا بأن إيواءهم إلى الكفار، وركونهم إليهم هو الذى جعل مكان إيوائهم جهنم جزاء وفاقًا ،ومبالغة في التشنيع عليهم عبر عن النار

١) تفسير أبى السعود ٥٧٤/١

بـــ(جهنم) لبعد قعرها[١]،وأخبر عن المبتدأ {أُولَئِكَ} بالجملة الاسمية {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ }،وجاء بجملة الحال { وَسَاءَتْ مَصِيرًا } مقترنة بـــ(الواو) ليجعلهـــا في إثبات مستقل ،رغم إسناد الإساءة إلي جهنم ،وكأنـــه بإيثـــاره التعبيـــر بالتمييز المحول عن الفاعل { مَصِيرًا } في هذا السياق –مع تحقيق معـــانى التهويل والتشنيع من شأن مكان العذاب الذى ينتظـــرهم – يريـــد أن يثبـــت بدلالات التشويق أن هذا المرجع والمآل كائن بعد التهيئة والتنبيه ،والوعظ والإرشاد والذى يشير إليه السياق بقوله:{ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا }[٢]،وفى التعبير بـــ(المصير) خاصة بما يدل عليه بأصل مادتـــه مـــن تحول وتغير ما يلائم تحول ،وتغير هؤلاء الظالمين أنفسهم من الهداية إلـــى الكفر بتركهم امتثال أمر الله ،وأمر رسوله بالهجرة ،وتأييد المســـلمين فـــي جهادهم ،ونشر دعوتهم.

وبعد أن أشار السياق بـــ{أُولَئِكَ} إلى بعد هـــؤلاء الظـــالمي أنفســـهم بادعائهم الاستضعاف عن طريق الهداية ،وجادة الصواب ،وتوعدهم بجهنم ، وساءت مصيرًا استثنى منهم المستضعفين حقيقة ،وجاء بهم على رأس آية جديدة ليلفت الذهن إلى ما يتعلق بهم من أحكام يخالفون بها مـــن ســـبقهم تنويهًا بهم ،وإعلاء من شأنهم إعلاء جعل السياق يؤثر تعريف المستضعفين بـــ(أل) ،ويأتي بالبيان ،والتفصيل بقوله :{مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْـــدَانِ}، فالتعبير بـــ(الرجال) جاء ليشير إلى أن وصف هؤلاء بالضعف ليس انتقاصًا، ولا تقليلًا من شأنهم ؛لأن ما دعتهم إليه إنما هي العزة ،والأنفة التي جعلتهم يتمسكون بدينهم ،ولا يتخلون عن حرماتهم ،والتي كأن السياق يشير إليهـــا

١) ينظر الفروق اللغوية ص: ٢٥٦، ولسان العرب ١١٢/١٢ (جهنم)
٢) سورة النساء من الآية (٦٣)

بإيثار ذكر النساء، والولدان ،فذكر النساء كأنه يشير إلى ما يحتجن إليه من إيناس ،وعناية ،وتعهد، وكذا الجمع بصيغة { وَالْوِلْدَانِ } دون {الأولاد} يتلاءم مع معانى الحاجة التي جعلت هؤلاء الرجال يرضون بالذلة ،والمهانة حرصًا على حرماتهم ،وصيانة لها ،وفى هذا ما فيه من معانى التواصل والترابط ،وتقرير أهمية الرحم التي تدعو إليها مقاصد السورة ، هذا إلى جانب ما يشير إليه هذا التفصيل من دلالة على شمول الهجرة للجميع مكلفين ، وغير مكلفين تأكيدًا لأهميتها ،وعظم وجوبها.

وإظهارًا لعذرهم الذي أقعدهم عن الهجرة نفى استطاعتهم الوصول إلى حيلة للهروب عما هم فيه، فقد نفى الاستطاعة، ولم ينف القدرة إشارة إلى أنهم قد فقدوا كل الوسائل التي تجعلهم يستطيعون الهجرة، وتأكيدًا لدلالات العموم نكر السياق قوله: {حِيلَةً}، وآثرها على قوله {وسيلة} إشارة كذلك إلى أنهم قد استنفدوا كل الوسائل ظاهرة معلنة، وباطنة خفية.

وذلك لأن " الاستطاعة أخص من القدرة، فكل مستطيع قادر وليس كل قادر بمستطيع، لأن الاستطاعة: اسم لمعانٍ يتمكن بها الفاعل مما يريده من إحداث الفعل وهي أربعة أشياء: إرادته للفعل، وقدرته على الفعل بحيث لا يكون له مانع منه، وعلمه بالفعل، وتهيؤ ما يتوقف عليه الفعل...يقال: فلان قادر على كذلك لكنه لا يريده، أو يمنعه منه مانع، أو لا علم له به أن يعوزه كذا. فظهر أن القدرة أعم من الاستطاعة، والاستطاعة أخص من القدرة"[١]

---

١) معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبى هلال العسكري وجزءًا من كتاب السيد نورالدين الجزائري تحقيق: الشيخ بيت الله بيات ص ٤٨ –ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقُمّ –الطبعة الأولى –١٤١٢هـ ، والكليات ص: ١٠٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومبالغة في تأكيد عذرهم الذي ينفى عنهم المذمة عطف عليها جملة {وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} مع أنها تؤدى معنى عدم القدرة، والاستطاعة وذلك ليجعلها مع إفادتها للتذييل في إثبات مستقل، لاسيما وأن "الاهتداء يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية"، وتأكيدًا لصلاحهم، وحسن نياتهم بين السياق أن غايتهم من هذا التحري طريق الخير، والرشاد، والإصلاح وذلك بالتعبير بالسبيل خاصة لأن أغلب وقوعه في الخير.

وجاءت(الفاء) في {فَأُولَئِكَ } لتلفت الذهن ،وتنبه إلى عاقبة هؤلاء المستضعفين الذين اهتم السياق بتصوير حرصهم ،ورغبتهم ،في التخلص مما هم فيه حرصًا ورغبة ، جعلتهم يتلمسون كل الحيل ،ويسلكون كل السبل التي تحقق لهم ما يبغون ،وكأنه يشير إلى أن هذا الضعف لم يدعهم إلى الرضا ،والاستسلام ،وأنهم لم ييأسوا في إيجاد السبل التي تكون سببًا في نجاتهم ، ونصرتهم لدين الله ،وامتثالهم لأوامره ،وأن عدم مقدرتهم على ذلك، إنما كانت خارجة عن إرادتهم ،ومن ثم استحقوا التعظيم، والتنويه الذى ينبض به التعريف، ووصفهم بـ(الرجال)،والإشارة إليهم { أُولَئِكَ } الموضوعة للبعيد ،والتي تتعانق مع (الفاء) لتلفت الأذهان إلى أن هؤلاء الذين بذلوا كل ما في وسعهم للخلاص مما هم فيه ،والذى تعجز الكلمات عن وصفه وحصره كما هو مفاد هذه الفاء الفصيحة كما ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور والتي تطوى وراءها أحداثًا عدة هؤلاء داخلون في دائرة الرجاء في أن يعفو عنهم الله ،وأنه كان الأحرى بهم أن يجأروا بدعوتهم ،وأن يعلنوا إسلامهم ،وأن يفصحوا عن رغباتهم في الخروج إلى الله ،ورسوله غير مبالين ،ولا مهتمين بهؤلاء المستضعِفين لهم الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:" وجملة { فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم } الفاء فيها للفصيحة ، والإتيان بالإشارة للتنبيه على أنّهم جديرون بالحكم المذكور من المغفرة، وفعل { عسى } في قوله : { فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم } يقتضي أنّ الله يرجو أن يعفو عنهم ، وإذْ كان الله هو فاعل العفو وهو عالم بأنّه يعفو عنهم أو عن بعضهم بالتعيين تعيّن أن يكون معنى الرجاء المستفاد من { عسى } هنا معنى مجازياً بأنّ عفوه عن ذنبهم عفوٌ عزيز المنال ، فمُثِّل حال العفو عنهم بحال من لا يُقطع بحصول العفو عنه ، والمقصود من ذلك تضييق تحقق عذرهم ، لئلاّ يتساهلوا في شروطه اعتماداً على عفو الله، فإنّ عذر الله لهم باستضعافهم رخصة وتوسعة من الله تعالى، لأنّ البقاء على إظهار الشرك أمر عظيم ، وكان الواجب العزيمةُ أن يكلّفوا بإعلان الإيمان بين ظهراني المشركين ولو جلب لهم التعذيب والهلاك"[١].

وجاء التعبير بالفعل المضارع{ يَعْفُوَ } مقترنًا بـ(أن) المصدرية الناصبة له في خبر {عَسَى} ليظهر هؤلاء المستضعفين بترك إعلان الإيمان في صورة المذنبين[٢] الذين لا يرجون عفوًا رغم كل بذلوه من محاولات للتخلص مما هم فيه ،والذى أظهره السياق بالجمع بين قوله تعالى :{ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا } مع أن الثابت المستقر أزلًا أن الله عفو غفور وهو ما تفيده جملة التذييل { وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا } باقترانها بفعل الكينونة مع ما اشتملت عليه من تكرار للخبر الوارد بصيغة المبالغة التي تنوه بعظم عفو الله ،وعظم مغفرته.

---

١) تفسير التحرير والتنوير ١٧٧/٥

٢) وذلك لأن العفو يكون عن ذنب .ينظر :الفروق اللغوية ص:١٩٥ ،والمفردات ص:٣٣٩،والكليات ص: ٦٣٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فإظهار هؤلاء المستضعفين في صورة المذنبين بإيثار التعبير بـ(العفو) مع كل ما بذلوه من محاولات للتخلص مما هم فيه ،والذى كأن السياق يريد استحضاره بصيغة المضارعة في{ لَا يَسْتَطِيعُونَ ...وَلَا يَهْتَدُونَ ...} يبين أن الهجرة التي يدعو إليها السياق في هذه السورة، والتي تقصد المعاني من ورائها إل تحقيق التواصل ،والترابط الذى يقوِّى شوكة المسلمين، ويحقق نصرهم بالجهاد الذى يدعو المولى –سبحانه وتعالى– إليه رسوله بقوله :{ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا }[١] هي التي تكمن وراء الإشباع في هذا السياق الجزئي ،والذى أظهره إسناد التوفي إلى الملائكة – رضوان الله عليهم ،وما تبعه من حوار دار بينهم ،وبين الذين ظلموا أنفسهم بخنوعهم ،واستكانتهم إلى المشركين ،ورضاهم بجوارهم ،والعيش في كنفهم، بل ومساندتهم، ،وتكثير سوادهم ،واتباع ملتهم ،ولعل هذا ما قصدت إليه المعاني من وراء تصدير هذه الآية بالتأكيد بـ(إنَّ) في غير مقام شك ولا إنكار.

هذا والمتأمل في سياق سورتي محمد والنساء يجد أن سياق سورة محمد قد اهتم بتصوير الملائكة حال التوفي وهم يبكتون ويوبخون ويعنفون المنافقين بضرب وجوههم، وأدبارهم، وأن سياق سورة النساء قد اهتم بتصوير الملائكة، وهم يوبخون، ويعنفون المنافقين بالقول، والتقرير، والسر في ذلك يرجع إل أن المتتبع لسياقات سورة النساء يجد أن السورة قد اهتمت بجانب الأقوال في كثير من مواطنها لاسيما المتعلقة بما يصدر عن المنافقين في كيدهم، ومكرهم بهم.

---

١) سورة النساء من الآية (٨٤)

فمما ورد فيها من التصريح بالقول تكرار قوله تعالى :{وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}[١]،وقوله:{ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}[٢]،وقوله:{ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ }[٣]،وقوله :{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}[٤]،وقوله :{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ }[٥]،وقوله:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا }[٦]،وقوله :{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ}[٧]، وقوله:{ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ }[٨]،وقوله: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا}[٩]،وقوله:{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ}[١٠]

ومما ورد من ذكر القول في سياق الحديث عن المنافقين خاصة قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا}[١١]، وقوله:{فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ}[١٢]،وقوله:{فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ

---

١) سورة النساء من الآية (٥) ،والآية (٨)
٢) سورة النساء من الآية (٩)
٣) سورة النساء من الآية (٣٤)
٤) سورة النساء من الآية (٤٦)
٥) سورة النساء من الآية (٤٩)
٦) سورة النساء من الآية (٥١)
٧) سورة النساء من الآية (١١٤)
٨) سورة النساء من الآية (١٤٨)
٩) سورة النساء الآية (١٥٦)
١٠) سورة النساء من الآية(١٧١)
١١) سورة النساء الآية (٦١)
١٢) سورة النساء من الآية (٦٢)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ}[١]،وقوله:{وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ }[٢]،وقوله:{ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ }[٣]،وقوله:{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ }[٤].

فعناية سياق السورة بجانب الأقوال كأنه هو الذي اقتضى أن يكون التوبيخ، والتقريع الوارد في مقام التوفي هذا واردًا في صورة أقوال.

وهذا بخلاف سورة محمد فكما تجلى من خلال مواطنها اهتمت بجانب الأفعال، والأعمال فقد استهلها المولى- سبحانه وتعالى – بقوله :{ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ }[٥]؛ لذا عندما وصف حال المنافقين عند فرض القتال الذى يعد أصل الحدث الذى اقتضى ذكر الملائكة قال:{فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}[٦]،فقد وصف ما صدر منهم من فعل ،أما سورة النساء فقد وصفت وذكرت ما صدر عنهم من قول وذلك في قوله –تعالى-:{ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ }[٧] ، هذا إلى جانب ما اشتملت عليه سورة محمد من ذكر للتولي

---

١) سورة النساء من الآية(٧٧)
٢) سورة النساء من الآية(٧٨)
٣) سورة النساء من الآية (٨١)
٤) سورة النساء من الآية(٨٣)
٥) سورة محمد الآية (١)
٦) سورة محمد من الآية (٢٠)
٧) سورة النساء من الآية (٧٧)

للتولي والإدبار والإفساد في الأرض ،وتقطيع الأرحام كما في قوله تعالى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}[١] ، وهو ما رشح أن يكون التعنيف والتوبيخ أثناء توفى الملائكة لهم مقرونا بضرب الوجوه والأدبار ،ولعل ذكر أفعالهم التي قاموا بها هي التي جعلت سورة محمد تنأى عن التصريح بذكر الظلم كما فعلت سورة النساء في قوله –تعالى– { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ }اكتفاءً بذكر أفعاله الدالة عليه، والمغنية عن التصريح به، والنص عليه.

وقريب من سورة محمد في سمتها وبنائها سورة الأنفال إلا أن التوبيخ والتقريع فيها أعنف لاقتران التعنيف بضرب الوجوه والأدبار فيها بالتعنيف بالقول في {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} ،تلاؤمًا مع الصد بالأقوال والأفعال في قوله تعالى :{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }[٢] وفيه ترقٍ مع أحوال الكفر والعناد والاستكبار إذ أن عناد الكفار والمشركين وجرمهم أقوى من جرم المنافقين ،ثم المستضعفين المستكينين. ومن ثم جاء التعنيف بالجمع بين الضرب والقول ثم بالضرب، ثم بالقول مراعاة لحال كلٍ.

---

١) سورة محمد الآية (٢٢)

٢) سورة الأنفال الآية (٤٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثالث

أثر السياق في إسناد التوفي للملائكة في مقام البعث

يعد مقام البعث من أعظم المقامات التي اهتم القرآن الكريم بـــتأكيدها وتقريرها في النفوس لما لقيه البعث من إنكار ، وجحود تذرع به المشركون ،وأحبوا الركون إليه تحقيقًا لأغراضهم ، وإرضاء لنفوسهم التي أحبت الكفر ،وأنست به ، وعاشت له ،وحتى ينزع القرآن الكريم هذه الأدواء من نفوسهم ساق حديثه عن البعث في صور مختلفة قائمة على التصريح تارة ، وعلى الإشارة والتلميح تارة أخرى ، متخذة من التصوير شكلًا ومن الحقيقة شكلًا آخر تلاؤمًا مع درجات الإنكار ، وقرائن الأحوال والتي كان منها قوله تعالى:{ الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ *ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ * }[١]

---

١) سورة السجدة الآيات من (١:١١)

فقد أُفتتحت هذه السورة الكريمة بالتنويه بشأن القرآن ؛لأنه جامع الهدى الذى تضمنته هذه السورة وغيرها ،وذلك لأنَّ جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب[١]، ثم انتقلت لتصف مظاهر قدرة الله -تعالى- المتمثلة في خلق السماوات، والأرض في ستة أيام، وفى تدبير الأمر من السماء إلى الأرض ،وفى بدء خلق الإنسان من طين ،وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ،ثم تسويته ،ونفخ الروح فيه ،وجعل السمع والأبصار ،والأفئدة ،والتي كأنها جاءت لترد على الافتراء ،والإنكار ،والتكذيب الذى يلوح من قوله تعالى :{وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} يشعر بهذا الإتيان بـ(الواو) التي كأنها تشير إلى ما بداخل نفوسهم من إنكار تعجز الكلمات التي نطقوا بها عن وصفه ، وتصويره، كما هو مفاد التأكيد بالماضي الدال على تحقق الوقوع المقرون بتكرار الاستفهام الدال على الاستبعاد المتضمن معنى الإنكار، والمصاحب لـ(إذا) التي تؤكد دلالات التلاشي ،والاندثار، والذهاب التي يدل عليها التعبير بـ(الضلال) في {ضَلَلْنَا} والذى جاء مقيدًا بـ(في) الدالة على الثبات، والاستقرار في الأرض ،وطول التلبس بها ،مع التأكيد بـ(إنَّ)، واللام ، وإعادة (في) ،ووصف الخلق بكونه {جَدِيدٍ}،والتي كأنها تصف الإصرار، والعناد، والاستكبار الذى يشى به السياق في قوله تعالى:{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}[٢]، والذى قصدت المعاني الإشارة إليه من وراء الالتفات من الخطاب إلى الغيبة الذى يقتضى الاهمال لهم، والتقليل من شأنهم ،وهو ما

١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢١ /٢٠٥
٢) سورة السجدة الآية (١٥)

أظهره السياق بالإضراب عن كلامهم ،والانتقال إلى تأكيد كفرهم بدلالات الاسمية التي يفيدها قوله تعالى:{ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ } ،والتي قُدّم فيها قيد{ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ } ليقصر الكفر على كونه بسبب لقاء الله إشارة إلى بعدهم عن طريق الهداية ، وتنكبهم الطريق المستقيم ، وعبر بالكفر خاصة ؛لأن فيه معنى التغطية، والستر للحقائق التي يشير إليها ذكر مراحل خلق الإنسان والتي اقتضت ذكر مراحل التوفي ،والبعث في{ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}.

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي –طيب الله ثراه–"وإذا كان الإنسان لم يشهد كيفية خلقه ،فإن الله –تعالى– يجعل من المشاهد لنا دليلًا على ما غاب عنا ،فإن كنا لم نشهد الخلق فقد شاهدنا الموت، والموت نقض للحياة وللخلق، ومعلوم أن نقض الشيء يأتي على عكس بنائه ،فإذا أردنا مثلًا هدم عمارة من عدة أدوار فإن آخر الأدوار بناءً هو أول الأدوار هدمًا ،وكذلك الحال في الموت ،أول شيء فيه خروج الروح ،وهى آخر شيء في الخلق ،فإذا خرجت الروح تصلب الجسد ... وهذه المرحلة أشبه بمرحلة الصلصالية ،ثم ينتن ،وتتغير رائحته ،كما كان في مرحلة الحمأ المسنون ،ثم يتحلل هذا الجسد ،ويتبخر ما فيه من مائية ،وتبقى بعض العناصر التي تتحول إلى تراب ليعود إلى أصله الأول"[١].

فالتعبير بالفعل الأمر (قل) كأنه يلائم التأكيد المفاد من (قَالُوا)، وما اقترن به من مؤكدات، ومن ثم جاء التعبير بـ(التوفي) خاصة بما فيه من معاني الاستيفاء المعبر عنه بصيغة المضارعة التي تستحضر هذا المشهد

١) تفسير الشعراوي ١١٨٠٧/١٤٨ –ط: أخبار اليوم –قطاع الثقافة.

ليكون ماثلًا أمام أعينهم تقريعًا، وتوبيخًا، وتعنيفًا لهم بسبب كذبهم، وافترائهم، وتدليسهم، وطمسهم للحقائق.

فقوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ} جاء ردًا على قولهم: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} فالحق الذي قال أنا خلقت الإنسان لم يقل وأنا سأعدمه وإنما قال سأتوفاه، فهو عندي كامل بروحه، وبذراته التكوينية، والذي خلق في البدء قادر على الإعادة، وجمع الذرات التي تشتت.(١)

وتناغيًا مع إنكارهم ،وتكذيبهم الذى أظهرته المؤكدات التي اشتملت عليها جمل:{أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ } جاء إسناد التوفي إلى ملك الموت لأنه بدلالته المجازية ،وعلاقته السببية يحقق معاني الإشباع، والاستحضار الملائم للتوكيد، والذى اقتضى الوصف بالاسم الموصول، والإتيان بصلته الدالة على العلم ،والظهور، والبيان ،وبُنى الفعل {وُكِّلَ} للمفعول للعلم بالموكِل –سبحانه وتعالى ،وتحقيقًا لمعاني الإهمال لهم، والتقليل من شأنهم ،ولعل هذا ما اقتضى إفراد ملك الموت بالذكر دون التعبير بالجمع كما في {توفته رسلنا ... إن الذين توفاهم الملائكة} لاسيما وأن هذا السياق لم يعن بتصوير العذاب الواقع على الكافرين لحظة التوفي كما ورد في السياقات المعبر فيها بالجمع، وإنما يعنى ،ويهتم بتقرير حقيقة التوفي الموصلة للبعث ،والنشور ،ومن ثم صُرح فيها بذكر{الموت}.

وجاء العطف بـ(ثم) الدالة على التراخي لتأكيد معانى التلاشي ، والاندثار، والذهاب المعبر عنه بـ(الضلال) ،وحتى يؤكد بعدهم عن جادة

١) ينظر: تفسير الشعراوي ١٤٨ /١١٨١٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الهداية جاء بـ(إلى) الدالة على انتهاء الغاية ،وعبر بـ(الربوبية) المؤكدة للملكية المطلقة، وقرنها بصيغة المضارعة المبنية للمفعول {تُرْجَعُونَ} ،والتي تتعانق مع التكرار المفاد من مادة الرجوع المؤكدة لدلالات القدرة المطلقة المستمرة باستمرار الزمن ،وتجدد مشاهد التوفي أمام الأعين ليل نهار ،إلزامًا، وتقريعًا، وتهكمًا تشى به الإضافات في{ربهم ... ربكم} والتي كأنها تذكرهم بالإنعام، والإحسان المتمثل في السمع، والأبصار ،والأفئدة والذى كان ينبغي أن يكون مصدر هدايتهم ،ولعل هذا ما تقصد إليه المعاني من وراء الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ }.

فـ" الجعل إبداعي ، واللام متعلقة به ، والتقديم على المفعول الصريح ...من الاهتمام بالمقدم ،والتشويق إلى المؤخر... أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها نعمًا جليلة لا يقادر قدرها وسائل إلى التمتع بسائر النعم الدينية ،والدنيوية الفائضة عليكم ،وتشكروها بأن تصرفوا كلا منها إلى ما خُلق هو له .فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد ،والبعث، وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما، وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما ... وفى حكاية أحوال الإنسان من مبدأ فطرته إلى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة ،وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عنه استعداده للفهم، وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه" [١].

١) تفسير أبى السعود ٤/٢٩٨،٢٩٩

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد

فقد توصلت من خلال هذه الدراسة التي دارت في رحاب القرآن الكريم إلى عدة نتائج تتمثل فيما يلي:

أولًا: تبين من خلال الدراسة أن مقامات حديث القرآن الكريم عن التوفي، وإسناده إلى الملائكة قد ارتبط في كل مواضعه بمقامات العناد والاستكبار سواء أكان في مقامات إنكار الرسالة أم في مقامات الجهاد أم في مقامات البعث، والسر في ذلك لعله يرجع إلى التذكير بالانتهاء الذي تزول معه كل الأسباب التي تدعو إلى العناد، والاستكبار مع ما فيه من تذكير بأصل الخلقة التي تنافى بطبيعتها الدونية ما يرنو إليه هؤلاء المستكبرون، ويحاولون الخلاص منه.

ثانيًا: تبين من خلال الدراسة أن مشاهد العذاب التي صورتها مقامات التوفي المسندة إلى الملائكة ،والتي ظهرت تارة في صورة أقوال ،وتارة أخرى في صورة أفعال ،وتارة ثالثة في الصورتين هي في الحقيقة مشاهد تكاملت لتظهر عظم هذا العذاب الذى يتعرض له هؤلاء المستكبرون ،والذين وصفوا تارة بالكفر ،وتارة بالظلم ،وتارة بالإجرام تأكيدًا لدلالات العتو التي اقتضت التعبير بالمصدر في قوله تعالى:{ وعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } ،مع وصفه بالكبر الذى يرتبط غالبًا بالأجسام تجسيدًا للجرم ، وعظمه ، إلى جانب ما يصوره هذا التنوع من ترقٍ في إظهار العذاب ، ولعل هذا هو سر وروده مقترنًا بالكفار ومن على شاكلتهم في سبعة مواضع من جملة مواضعه الثمانية ،فالتوفي المسند إلى الملائكة كما ظهر من خلال الدراسة لم يرتبط بالمؤمنين إلا في موضع واحد كأنه ورد استطرادًا للمبالغة في تبكيت ، وتعنيف المستكبرين المعاندين .

ثالثًا: تبين من خلال حديث القرآن الكريم عن الملائكة عند التوفي في مقامات إنكار الرسالة ما يأتي:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– أنه كما سبق كان ناتجًا عن عناد واستكبار اقتضى التذكير بأصل الخلقة المترتب على الموت بالرجوع إلى عنصر التراب الذي لا يحق لصاحبه التكبر على مانح الخلق والحياة، ومن ثم ارتبط بمقامات توفى المشركين، وكان هو المقصد الرئيس.

– أنّ فيه تأكيدًا لدلالات القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماوات.

– أنه قد تكامل بمواضعه المختلفة ليرسم مشهد التوفى بشتى صوره، وأشكاله بما يتلاءم مع طبيعة السياق الوارد فيه.

فسورة الأنعام بعد أن صورت حقيقة حدوث التوفي في {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} صورت طلب الملائكة من الظالمين إخراج أنفسهم، وتوعدهم بما سيلقونه من عذاب جزاء ما تفوهوا به من كذب، وافتراء نابع عن استكبار واستهزاء دعاهم إلى طلب نزول العذاب.

وفى سورة الأعراف جاء حديث القرآن الكريم عن الملائكة عند التوفي ليكشف جانبًا من تعنيف الملائكة للمشركين وتبكيتهم لهم نتيجة عبادتهم لغير الله تعالى عنادًا واستكبارًا وإلزامهم بالحجة التي جعلتهم يرضخون اعترافًا، وشهودًا في مقصد عام للسورة اهتم بالتحذير من اتخاذ أولياء من دون الله.

وفى سورة النحل جاء حديث القرآن الكريم عن الملائكة عند التوفي في مقام إنكار الرسالة ليصور لنا إنكار المشركين لما ينسبه إليهم الملائكة أثناء نزع الروح مستطردة إلى ذكر أحوال المؤمنين عند نزع الروح وما يحظون به من تكريم مبالغة في توبيخ المشركين وتأنيبهم، وتحقيقيًا لدلالات القدرة الإلهية التي اهتمت السورة بتقريرها بالجمع بين النقيضين.

وفى سورة الفرقان احتفل السياق بتهويل شأن الزمن الذي يتم فيه توفى المشركين المنكرين تلاؤمًا مع عظم الإنكار الذي نصت عليه السورة الكريمة متمثلًا في إنكار المنزِلِ، والمنزَلِ، والمنزَلِ عليه.

رابعًا: تبين من خلال دراسة أثر السياق في إسناد التوفي إلى الملائكة في مقام الجهاد أن حديث القرآن عن الملائكة عند التوفي في مقام الجهاد قد تنوع شدة وعنفًا بتنوع واختلاف حال المتحدث عنهم فعندما تعلق الحديث بالكفار والمشركين اقترن التوفي بالتعنيف بالقول والضرب، وعندما تعلق الحديث بالمنافقين المارقين عن الجهاد غير الراغبين فيه اقترن التوفي بالتعنيف بالضرب فقط، وعندما تعلق الحديث بالمنافقين المتعللين بالضعف وعدم الاستطاعة اقترن التوفي بالتعنيف واللوم بالقول فحسب وذلك مراعاة لحال كل فريق وتوجهه.

خامسًا: يعد سياق البعث هو السياق الوحيد الذي أسند فيه التوفي إلى ملك الموت مفردًا، ولعل السر في ذلك يرجع إلى أنَّ هذا السياق لم يعن بتصوير العذاب الواقع على الكافرين لحظة التوفي، كما ورد في السياقات المعبر فيها بالجمع، وإنما عُنى، واهتم بتقرير حقيقة التوفي الموصلة للبعث، والنشور، ومن ثم صُرح فيه بذكر{الموت} دون غيره من السياقات الأخرى.

وبعد

فإن الدراسة توصى بتتبع مقامات طلب الكفار تنزل الملائكة لدعوتهم وتباينها تأييدًا وتأكيدًا حسب زعمهم أو تعذيبًا وإهلاكًا، وعلاقة ذلك بمقاصد السور، ودلالات السياق، كما توصى بتتبع مقامات إسناد التوفي إلى المولى سبحانه وتعالى وذلك للوقوف على غايات وأسرار المعاني من وراء ذلك.

والله من وراء القصد
وهو الهادي إلى الصراط المستقيم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس المصادر والمراجع

١- البرهان في علوم القرآن -للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم -ط: المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.
٢- الاتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي-تقديم وتعليق د: مصطفى ديب البغا -ط: دار ابن كثير -دمشق -بيروت - ودار العلوم الإنسانية -دمشق -حلبوني -الطبعة الثانية -١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
٣- الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم - للدكتور/ محمود موسى حمدان - ط: مكتبة وهبة - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور /وهبة الزحيلي - ط: دار الفكر المعاصر -بيروت-لبنان، ودار الفكر -دمشق -سورية - الطبعة الأولى -١٤١١هـ-١٩٩١م
٥- تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-ط: دار الفكر -دون.
٦- تفسير التحرير والتنوير-تأليف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - ط: الدار التونسية والدار الجماهيرية -دون.
٧- تفسير الشعراوي - ط: أخبار اليوم -قطاع الثقافة
٨- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبى طاهر بن يعقوب الفيروز ابادى - ط: مطبعة الأنوار المحمدية-القاهرة-دون.
٩- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز - للخطيب الإسكافي -ط: دار الآفاق الجديدة -بيروت-الطبعة الرابعة - ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٠- دلالة السياق-إعداد: رَدة الله بن رَدة بن ضيف الله الطلحى -كلية اللغة العربية-جامعة أم القرى -وزارة التعليم العالي -المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ.

١١- دور الكلمة في اللغة -تأليف: استيقن أولمان-ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ كمال محمد بشر-ط: مكتبة الشباب-القاهرة.
١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي -قرأه وصححه: محمد حسين العرب -ط: دار الفكر -بيروت -لبنان -١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
١٣- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) -تأليف: د/محمود السعران - ط: دار الفكر العربي.
١٤- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري للإمام اللغوي الأديب أبى هلال العسكري -تحقيق: حسام الدين القدسي -ط: مكتبة القدسي -عابدين -١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
١٥- كتاب دلائل الإعجاز تأليف: الشيخ الإمام أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي-قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر- ط: دار المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة -الطبعة الثالثة -١٤١٣هـ /١٩٩٢م.
١٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي-ط: دار المعرفة- بيروت -لبنان.
١٧- الكليات -معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع ووضع فهارسه: د.عدنان درويش ومحمد المصري - ط: مؤسسة الرسالة -بيروت -الطبعة الثانية -١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
١٨- لسان العرب للعلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري-ط: دار صادر-بيروت - الطبعة الأولى-١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
١٩- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور-تأليف: الحافظ المؤرخ المفسر برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي-تحقيق: د.عبد الحميد أحمد محمد حسنين -ط: مكتبة المعارف -الرياض - الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٢٠- معالم التنزيل في التفسير والتأويل تأليف: أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي -ط: دار الفكر -بيروت -لبنان -١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
٢١- المعجم الوسيط تأليف: مجمع اللغة العربية -ط:مطابع الدار الهندسية ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
٢٢- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبى هلال العسكري وجزءًا من كتاب السيد نورالدين الجزائري تحقيق: الشيخ بيت الله بيات - ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقُم -الطبعة الأولى -١٤١٢هـ.
٢٣- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا -تحقيق وضبط / عبد السلام محمد هارون -ط-دار الجيل -بيروت-الطبعة الأولى - ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٤- مفاتيح الغيب -تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي -ط: دار الكتب العلمية -بيروت -الطبعة الأولى-١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
٢٥- المفردات في غريب القرآن -تأليف أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني -ط: دار المعرفة - بيروت-لبنان-دون.
٢٦- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل -تأليف الإمام أبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي -وضع حواشيه: عبد الغنى محمد على الفاسي-دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
٢٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي-خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدى-ط: دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان - الطبعة الأولى -١٤٠٥هـ -١٩٩٥م.

كشّاف

بالآيات القرآنية التي قامت عليها الدراسة حسب ورودها في البحث

م	الآية	السورة	رقم الصفحة
١	{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ}	الأنعام	٩
٢	{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ}	الأنعام	٢٢
٣	{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ}	الأنعام	٢٦
٤	{أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}	الأعراف	٣١
٥	{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ}	النحل	٣٩
٦	{يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ}	الفرقان	٥٠
٧	{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}	الأنفال	٥٧
٨	{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}	محمد	٦٢
٩	{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ}	النساء	٦٩
١٠	{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}	السجدة	٨٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٤٣٣٩
٢-	Abstract	١٤٣٤٠
٣-	المقدمة	١٤٣٤١
٤-	التمهيد	١٤٣٤٤
٥-	المبحث الأول: أثر السياق في إسناد التوفي إلى الملائكة في مقام إنكار الرسالة.	١٤٣٤٨
٦-	المبحث الثاني: أثر السياق في إسناد التوفي إلى الملائكة في مقام الجهاد.	١٤٤٠٢
٧-	المبحث الثالث: أثر السياق في إسناد التوفي إلى الملائكة في مقام البعث.	١٤٤٣٢
٨-	الخاتمة	١٤٤٣٧
٩-	فهرس المصادر والمراجع	١٤٤٤٠
١٠-	فهرس الموضوعات	١٤٤٤٤